المشرق

تدبير الصحة في بيروت

لجناب الدكتور حبيب افندي درعوني

اعتاد الافرنج ان يضعوا لكل بلدٍ قانونًا صحيًا بالنسبة لموقعهِ وآثاره الجوية وطبيعة تربتهِ وتربة جوارهِ وعوائد الاهلين وطريقتهم في المعاش فيرتشد بهِ السكان لحفظ صحتهم ووقايتها من الطوارئ المسكن اتقاؤها. ولا حاجة لاثبات منافع هذا القانون لانها اضحت مقررة بما نال من الفوائد الصحية كلّ من راعى هذه القوانين. وقد حدت الغيرة بالمرحوم الدكتور بويه الى وضع قانون صحيّ لبيروت غير انهُ توخى في مقالتهِ الاشارة الى الاصلاحات الصحية من حيث الاشغال العمومية مما يُناط بالهيئة البلدية وعلى ظني ان الغرض المهمّ في مثل هذا الموضوع انما هو الافصاح في تدريب الافراد والعائلات عن الوسائل الصحية اللازم اتباعها بالنسبة الى الحالة الحاضرة بعد ايراد ما حسن منها واثبات ما ساء. وذلك الغرض الذي اقصد في هذه العجالة

موقع بيروت

لا مشاحة ان وضع بيروت من ابدع المواقع وقلّما ذكر اربابُ الرِحَل مدينة ساحلية فازت من امتيازات الطبيعة ما احرزتهُ بيروت من بحرٍ معترض امامها في الجهة الشمالية فاشرفت عليهِ ومن سهول خصبة ومروجٍ يانعة اكتنفتها من جهة الشرق ومن غابات صنوبر قائمة في جنوبها اشبه بتاج يكلّل هامتها ومن ادعاص رمالٍ متلبدة في غربيها

ومن عجيب خواصها انها مستندة من جهة الشرق والجنوب الى جبال تأتزر بالسحب وتعتمّ بالثلوج شتاء وصيفًا لا يفصلها عن حضيضها سوى حقول امتدت في طول ثمانية كيلومترات وعرض كيلومتر واحد او ثلاثة. ومن ورائها ارتفعت مِنافُ لبنان

مثل الحصون المشيَّدة كأني بالطبيعة اقامتهـا لتقي بيروت من صبارَّة الشتاء فتحبس عنها الزمهرير وتدَّخر الثلوج على قننها حتى اذا تصرَّمت هواجر الصيف اصبحت تلك الجبال ملجأ لسكَّان بيروت فينتعشون بهوائها العليل ويتروَّحون بمائها السلسبيل ناهيك عن بهجة مناظرها وكثرة مرافقها ممَّا يوفر اسباب الصحَّة والهناء.

امَّا مركز بيروت الجيوغرافي فهو في الدرجة ٣٣ والدقيقة ٧ والثانية ٥٠ طولًا في شرقيّ سنت باريس والدرجة ٣٣ والدقيقة ٥٤ والثانيـة ٢٧ عرضًا في شمالي خط الاستواء. وشكلها كشبه جزيرة مثلَّثة الزوايا نطحت قمَّتها في البحر وهي المعروفة برأس بيروت وامتدَّت قاعدتهـا غربًا فشرقًا الى حيث تندمج بحضيض لبنان. وقد تغوَّر ساحلها الشمالي حول البحر فتكوَّنت منهُ فرضة بديعة في شكل نصف دائرة. وفي تلك الفرضة يصبُّ نهر بيروت المعروف عنـد الاقدمين بنهر ماغوراس. وهذا النهر يجري شرقيَّ المدينة في مسيل موازٍ لسلسلة لبنان على مسافـة ثلاثـة كيلومترات فاذا بلغ الجسر الواصل بين بيروت والحدود اللبنانيَّـة يأخذ من ثمَّ بالانفراج شيئًا فشيئًا حتى مصبّهِ ويتشعَّب الماء جداول فمنهُ ما يسيح في تلك الارباض فيحوّلها الى أنواض وأنهاء. ومستنقعات تتوفَّر فيها الجراثيم الملاريَّة. فهذه وتلك التي تنبعث من تحقُّن مياه السقي في الجوار تفسـد الهواء وتنتشر الحمَّى الملاريَّة التي تضرب اطنابها في تلك الضواحي كما هو معلوم. وما تبقَّى من تلك الجداول يجري في مسيلهِ فيصبُّ في البحر وذلك في أيَّام الشتاء والربيع اذ يكون الماء فائضًا. امَّا في الصيف فقد تنضب المياه او تركد في بُرَك آسنة. ولإصلاح هذا الخلل الصحي الحاصل من تكوُّن المستنقعـات يكفي ان يُقام سدٌّ محكم فيحصر الماء ويدفعهُ في مسيل مخطوط لا يتعدَّاهُ فيحصل من ذلك زوال الانبعاثات الملاريَّة وتحسُّن الصحة في المحلات المجاورة

وعلى مقربة من ذلك المصبّ شاطئ الدورة وهو خلوٌ من الصخور وقاعهُ مفروش بالرمل الناعم قد يصلح ضحضاحهُ لحمَّامات بحريَّة لو كانت تلك الحلة جيدة الهواء.

امَّا بنايات بيروت فانها قائمة على ربوة تتحدَّر تحدُّرًا خفيفًا من شأنهِ ان يساعد كثيرًا في تحسين الصحة بانطلاق الخنادق والاقنية لو تمَّ ترتيبها حسب المرام. وقد شغلت المدينة مساحة ذلك النجد من اعالي تلال الاشرفية وكشبان رأس بيروت حتى شاطئ البحر. ثمَّ تتطمَّن الارض في هذا المتحدر فيحصل منها جوف قامت فيهِ بيروت

القديمة ومن حولها تنظّمت احياء حديثة فيها من البنايات العظيمة بل من الصروح الفخيمة ما تُفاخر بها بيروت اتقنَ المدن الاوربية . غير انَّ شوارعها منحطة عن هندام مساكنها فمنها شارعان كبيران احدهما يشقّ المدينة من الشكنة الى النهر غربًا فشرقًا والثاني يقدها من الجنوب الى الشمال وهو طريق الشام وهذان السبيلان يتصلّبان على ساحة البرج ومنهما يتفرّع او اليهما يُفضي مُجمل دروب المدينة بعد ان تخطّها في كل جهاتها وتقسمها الى ترابيع متعددة . وكلّ يعلم افتقار هذه الطرق للترميم غير انَّ هذا العمل لا يجدي نفعًا ولا تحصل الفائدة منهُ الّا اذا حفرت خنادق رحبة على طرفي الطريق مع استيفاء شروط بنائها وتشييدها وتغطيتها فتجري فيها سيول الشتاء والاقذار ويتم بذلك حفظ الطريق من الخراب الوشيك وصون الصحة العمومية من اضرار الانبعاثات الفاسدة

واذا طمح البيروتيّون الى بلوغ حدّ الاتقان وارادوا التناسب بين رونق ابنيتهم ودحب ازقّتهم فيقتضي اذ ذاك تصفيحها بالبلاط فتتمّ الفائدة الصحية بمنع الغبار والاوحال حقّق الله الآمال

وتحت طريق النهر لجهة محطّة السكة الحديديّة قد امتدَّ بسيطٌ ضيّق على سيف البحر حيث الحجر الصحيّ وهو ينتهي بصخور تنتصب عموديًا فوق البحر علوُّها نحو عشرين مترًا. تتألّف من طبقات ترتفع فوق بعضها بانحناء قليل من الغرب الى الشرق بين ان ساحل رأس بيروت مركّب من صخور تقف عند سطح الماء . امّا قرار المدينة فمعمّةٌ كذّان وسطحهُ في الغالب رمل وصَلصال

ولبيروت كما لاخواتها من المدن العريقة في القدم مدينة قديمة وأُخرى حديثة . فالقديمة واقعة في مربّع يحدّهُ طريق النهر جنوبًا والحديقة الحميديّة مع ما يليها الى البحر شرقًا والطريق النافذة من الشكنة الى البحر غربًا والبحر في الشمال وهي تبدو لناظرها كركام خرائب لا شكل لها . وما من احد الّا ويعلم ضيق ازقّتها واعوجاج معابرها وتراكم اقذارها وتداعي مساكنها . غير ان من تأمّل نسق بنيانها وتبيّن شؤونها الصحيّة حكم انها لا تخلو من بعض الصلاح من حيث البرودة الحاصلة من انعقاد ازقّتها وظلّ معابرها وقد يشعر العابر في شوارعها ايام القيظ تلطّفًا في الحرارة يرتاح لهُ البدن . ولو تيسّرت مع ذلك النظافة التامّة لكانت تفي بالمرام الّا انَّ الاوساخ في تلك المحلّة قد

تكاثرت حتى يتكرَّه المارَّة من الاجتياز فيها

اما هندام المساكن المستحدثة من حيث موافقتها للمبادئ الصحيَّة واستخدام غرفها لاعمال المعيشة فسنذكرهُ بعد الكلام عن آثار بيروت الجويَّة لانهُ تتوقف على معرفتها نتائج صحيَّة جمة

آثار بيروت الجويَّة

حرارتها

غنيٌّ عن البيان انَّ اول ما تلزم معرفتهُ من الآثار العلويَّة في جنب موضوعنا انما هو معدَّل الحرارة السنوي وللوصول الى هذه النتيجة جمعنا قوائم من مصادر شتى وقابلناها ببعضها فاستنتجنا منها معدلًا معلومًا لكلّ حالة جويَّة فوجدنا ان معدَّل الحرارة لعموم السنة تبلغ الدرجة الواحدة والعشرين وثلاثة اعشار الدرجة (٢١ْ٣) والفرق بين حرارة الحرّ وصبارة القرّ يتهادى بين ست او ثماني درجات وقلما يكون الفرق أزيد من ذلك . فيظهر ان حرارة بيروت منتظمة في استوائها شائقة في اعتدالها والفضل لا ريب لموقع بيروت الطبيعي على ساحل البحر واكتناف الجبال بها . وقد يُستنتج من ذلك لاوَّل وهلة ان هواء بيروت مفيد للامراض الصدريَّة نافع لها بما فيه من الاعتدال . وفي الحقيقة ليس الامر كذلك لسبب ارتفاع درجة الرطوبة الى الستين او الخمس وستين ولا يخفى ان الهواء اذا كان مشبعًا رطوبة يعرقل تبخُّر الرئتين وذلك عكس المرغوب لشفاء امراضها

وممَّا لاحظهُ اصحاب الآثار الجويَّة في بيروت ان ارتفاع الحرارة يوافقهُ هبوب الريح الغربيَّة والغربيَّة الجنوبية التي تغلب عليها في شهور القيظ وخصوصًا شهر تموز فتراها تتصاعد في سلم الارتقاء رويدًا رويدًا كلما قابلت فصل الحرّ فتبلغ معظمها في شهر تموز وكلما اقبل فصل البرد هبطت تدريجًا واقلّ ما يكون هبوبها وتقلُّبها في كانون الثاني غير ان هذه الريح يغلب هبوبها على سواها كما نبيّن في كلامنا على احوال الارياح

وقد تدوم الحرارة مدَّة اربعة او خمسة شهور من حزيران الى تشرين الاول في ارتفاع مستمرّ تكون لهُ في شهر آب وقدةٌ مبرّحة وقد تبلغ حمارَّتها الدرجة الثلاثين او الثانية والثلاثين فيكاد لا يطيقها البدن بسبب الرطوبة المرافقة لها . ثمَّ تأخذ بالهبوط

من شهر تشرين الاول فما بعد حتى تبلغ الدرجة السابعة او العاشرة. واذا تحرَّينا معدَّل الحرارة لكل شهر على حدة عند الظهر وجدناها كما يلي:

الشهر	معدَّل الحرارة	الشهر	معدَّل الحرارة
كانون ٢	١٢°, ٢″	تموز	٢٩°, ٧″
شباط	١٣°, ٧″	آب	٣٠°
آذار	١٧°	ايلول	٢٨°
نيسان	٢١°	تشرين ١	٢٥°, ٢″
أيار	٢٥°, ٩″	تشرين ٢	٢٢°
حزيران	٢٨°, ١″	كانون ١	١٤،٦

وممَّا يجدر بنا ذكرهُ ان المرء يحسّ ببردٍ قارس يشمل بدنهُ وان وقفت الحرارة عند الدرجة الخامسة او السادسة فوق الصفر وهـذا البرد يشعر بهِ حتى الغريب الصَرِد الذي اعتاد احتمال البرد الشديد في بلادهِ (ستأتي البقيَّة)

الدخيل في اللغة العربية

للكاتب الفاضل الخوري ميخائيل حويس

ممَّا لا يندُّ عن نيّرة الخبير ان الكلم الاعجميَّة قد دخلت العربيَّة منذ ازمان لا يُمكن تعينها بتحقيق بيد أنَّنا بتساهل نلاحظ ذلك بثلاثة اعتبارات او ادوار تاريخيَّة...

فالدور الاوَّل وان اعتاص علينا تعينهُ لتوغُّلهِ في القدم وجهلنا حقيقة تاريخ أحوال العرب في عصرهم الاوَّل يمكنّنا ان نقول انَّ ما تسرَّب فيهِ من الدخيل الى اللغة العربيَّة كان شُواية لا يُؤبَه بها. لان احوالهم الماشيَّة والسياسيَّة كانت في ذيَّالك الزمن في أبسط ادوارها واحوالها وتصوُّراتهم كانت مقصورة على ما يقع عليهِ طائر النظر في بلادهم وقد ارتجلوا لهُ ثمَّت من الاسماء ما شاؤوا وارادوا ممَّا ضاقت عن استيعابهِ صفحات المعاجم. فمن ذلك اوصاف الابل مثلًا فانهم قد وضعوا لكل عضو او صفة فيها او حالة لها اسمًا مخصوصًا حتى كاد مجموعها يفوق الالوف عدًّا ولا تتصفَّح مادةَ

في المعاجم العربيّة دون ان تستنشق ذفر الإبل فيها ومع ان اللغة لم تكن في ذلك العهد إلّا في مهد طفوليّتها اي غير بالغة من الغنى بالفاظها ودلالاتها وتنوّعاتها مبلغها الحاضر فقد كانت كفيّةً ليحوكوا من الفاظها بُرودًا يُلبسونها قدود معانيهم تلك الساذجة

امّا الدور الثاني فيبتدئ من القرن الرابع ق م ايّام أزهرت دولة الحميريّين في جنوبي العربيّة. ثمّ من نُزوح القبائل العربيّة عن البلاد اليمنيّة بعد سيل العرم في أواسط القرن الثاني ب م ومخالطتهم الاعاجم في جالياتهم

وبديهيّ انّ الحضارة واتساع نطاق التجارة ومُخالطة الامم الغريبة اللغة لهي اعظم الذرائع لإدخال الألفاظ الاعجمية كما لا يخفى

ولا نكير ان مسمّيات كثيرة اعجميّة قد ارتجل العرب او وضعوا لها بداءةً اسماء عربيّة تدلّ عليها. بيد ان ذلك كان بعضًا من كلّ اذ لم يكونوا ليأنفوا من تعريب الاعجمي او استعماله كما يتأفّف كثير من ادباء هذا العصر من استخفّتهم حميّة التعصب للغة العربيّة وفاتهم انّ الاولين انفسهم قد عرّبوا اكثر الاعجمي واستعملوا كثيرًا من الدخيل غير المعرّب ممّا كان قد سقط عليهم وكثر دورهُ على السنتهم كما ترى في اشعارهم القديمة

وفي هذا الدور الثاني قد انساب الى اللغة من الدخيل اكثر ما انساب اليها منهُ في الدور الاول. ومع هذا فلم تكن بعدُ قد اعترضت السنتَهم عُجمةٌ ولا تحيّفتها حكلة ولبث اللسان العربي في هذا الدور ايضًا صحيحًا فصيحًا في البلاد العربيّة وذلك الى ما قبل ظهور الاسلام

امّا الدور الاخير فيبتدئ منذ اواسط القرن السابع فصاعدًا والذي قيّض فيهِ للدخيل ان يُغير بخيلهِ ورَجلهِ على ربوع العربيّة امتداد فتوحات العرب الاسلام ممّا كان مدعاةً لنشوّ اللّحن وسائر معايب اللسَن على السنتهم. ولمّا تغلغل الامويّون والعباسيون في مشارق الارض ومغاربها وتأيّد سلطانهم على بلاد الاعاجم واستحكمت عُرى الاتّصال بينهم في اثناء القرنين الثامن والتاسع وكاد السمع يختلف أُصول ملكة الفصاحة الراسخة في السنتهم حتى خيف على اللغة ان يستشري في جسمها الفساد وينغلق باب المفهوم من القرآن على اهلهِ في مستأنف الزمن ثارت حميًّا الغيرة الدينيّة في رؤوس فريق

من ارباب الفضل فاستنفروا لها من بهم الكفاية الى سدّ هذه الثلمة وتداركُ رتق ذاك الفتق . فهبَّ لذلك لفيف من لغويّي الكوفة والبصرة وهم اعاجم اصلًا غير انّهم كانوا قد ارتضعوا من اللغة افاويق درّها وربوا في حجرها فبرّوها بان دوّنوا ما اقدرتهم على جمعهِ الهمَّة ممَّا تخيّروهُ من كلام القبائل التي كانت ملكةُ السنتها بلَّةَ الفصاحة . فكان ما احرزوهُ من أعلاقها النفيسة برضًا من عِدٍ وقُلًا من كثرٍ وقد تخلَّلهُ مئات من كلم اللغات الاجنبيَّة وحوشيّها ممَّا كان قد كثر دورهُ على السنتهم . على انهُ لا شين عليهم فيما اندرج في كلامهم من الدخيل والمعرَّب فهذه معاجم لغات الاعاجم فانها قد رحُبت بكثير من الغريب عنها حتى لا تكاد تخلو مادَّةٌ من موادها الّا وترى فيها بين متفرّعاتها الاصليَّة لفظة او اكثر منهُ لا تجمع بينهما وشائج رحم ولا تمتُّ اليها بلُحمة قربى او نسب . وكما انهُ قد تطرّق الى اللغة العربيَّة طوائف من كلم اللغات الاعجميَّة كالسريانيَّة والفارسية والروميَّة الخ ترى ايضًا مئات من الكلم العربيَّة في اللغات المذكورة وغيرها قد عجمتها الاعاجم وحوّلوها الى مناهجهم ومناحيهم (١

امَّا الدخيل الذي دوّنوهُ فيرجع في الاغلب الاعمّ الى الالفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتهم وهو ينحصر في اربعة انواع لا خامس لها

١ الأعجمي الذي سقط اليهم وهو غير موافق لأبنيتهم وأبقوهُ على صورته الاعجمية او غيّروهُ قليلًا ليخفَّ لفظهُ على ألسنتهم واكثر هذا النوع من اسماء الاعلام والألقاب الدوليَّة والمعادن والعقاقير والاصطلاحات البحريَّة والمكاييل ونحوها ممَّا لم يألفهُ العرب او انتهى اليهم من الاجانب ويلحق بهذا النوع اسماء المخترعات الحديثة كالفونوغراف والتلغراف والترمومتر الخ

٢ ما غيّروهُ منهُ ولم يُلحقوهُ بأبنيتهم . ولمَّا كان الدخيل من هذا النوع قد اعترو اكثرهُ القلبُ والابدال وتوفَّر فيهِ التصحيف والتحريف كان لا بُدَّ للباحث في تحقيق اشتقاقهِ وإعادته الى نصابهِ من بسطة علم ووفرة اضطلاع في اللغات الاعجمية والّا كان كمن يضرب في ترّهات البسابس او ينفخ في غير ضرم ولذا ترى كثيرين من لغويّي

١) نقترح على الادباء من أرباب القلم ان يخوضوا عباب هذا الباب ويأتونا بماتيك الفرائد التي تطاولت بها اللغة العربية على غيرها من اللغات في سالف عهدها . (قلنا) انَّ المستشرقين قد طرقوا هذا الباب وقد وضعوا عدَّة كتب في ذلك ونكتفي هنا بذكر كتاب الاب ه. لامنس اليسوعي المعنون Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe (المشرق)

العرب وفريقًا من الادباء المحدثين قد اضطربوا في تحقيق الفاظ كثيرة دخيلة لجهلهم معرفة تلك الاصول التي أُخذ عنها

٣ ما حوَّلوهُ عن مناحي الاعجميَّة وألحقوهُ بابنيتهم ومن هـذا النوع طوائف عديدة في المعاجم العربيَّة نُبّه الى عجمة بعضها لفيف من اللغويين وقد جمع عنهم شيئًا من ذلك ابو منصور الجواليقيّ في كتابهِ المعرَّب من الكلام الاعجميّ (طُبع في ليبسك سنة ١٨٦٧) وزاد عليهِ الإمام شهاب الدين الخفاجيّ في كتابهِ شفاء الغليل (طبع في مصر سنة ١٢٨٢هـ)

٤ ما وافق منهُ ابنيتهم ولم يغيّروهُ. ومن هذا النوع الاخير والذي قبلهُ موادُّ عديدة في العربية قد التحمت بكلامهم التحام اللُّحمة بالسداة ووقع كثير منها في الاشعار المرويَّة عن الاقدمين منهم ممَّن يُرجع اليهم. واكثرها يشتق من السريانية والفارسيَّة وقد دبَّ الدخيل من الاولى من بلاد الجزيرة وشمالي العربية حيث كانت السريانية لغة هاتيك الارجاء ومن الثانية من بلاد العجم شرقي العربية على ان ما دخل اللغة من السريانيَّة هو اكثر مما دخلها من الفارسية. قال ابو بكر: قد دخل في عربيَّة اهل الشام (يريد سوريَّة) كثير من السريانية كما استعمل عرب العراق اشياء من الفارسية

ومن تصفَّح معاجم اللغتين العربية والسريانية يجد فيها موادَّ كثيرة متقاربة بينها مشاكلة معنويَّة في اكثر مشتقَّاتها وتصاريفها بحيث يتعذَّر عليـهِ الحكم بايّ اللغتين سبقت الأُخرى فاخذت هذه عنها

ولا لُبسة انَّ البحث في تحقيق اصل هذه الموادّ هو من ادقّ المباحث اللغويَّة ولذا ندر من قرع بابهُ من ارباب اللغات. وقد علمتُ موخرًا ان احد المستشرقين من العلماء الجرمانيين قد عانى سلوك هذه الشقَّة فالَّف لذلك كتابًا سنة ١٨٨٦ بحث فيـهِ عن اصل كلمات كثيرة زعم ان العرب اخذتهـا عن السريانية غير انهُ قد وهمَ في تحقيق كثيرٍ منها

وقد ضرب لغويّو العرب عن التنبيه الى عجمة المعرَّبات المشار اليها ولوهمهم انهـا عربية محضة تمحّلوا لها اشتقاقًا عربيًّا غريبًا

فمن ذلك كلمة «الدمية» وهي سريانية محضـة لم ينبه الى عجمتها احد ولجهلهم اصلها الاعجميّ اضطربوا فيها. قال الليث في تعريفها: هي الصورة المنقوشة من الرُّخام.

وقال غيره انها من العاج. وآخر انها الصورة عامةً. وقال ابو العلاء في اشتقاقها سُمِّيت دُميةً لانها كانت اوّلًا تُصوَّر بالحمرة فكأنها أُخذت من الدم. وجاء في الروض تسمّى الاصنام دُمًى لان الدماء تُراق عندها تقرُّبا...

وما الدمية الّا سريانية كما قدّمنا معرَّبة عن ܕܡܘܬܐ (دموت) وهي الصورة والصنم كيف كانا. وليس اشتقاقها من الدم كما وهموا بل من ܕܡܘܬܐ وفعلهُ ܕܡܐ معناه ماثلَ وصوّرَ وشبَّه

على انّ بحثنا عن اشتقاق هذه اللفظة وتعريب العرب لها يؤدي بنا الى تأييد حقيقة تاريخيّة هي ان العرب قد اتّخذوا العبادة الصنميّة توًّا عن السريان. والدمى بمعنى الاصنام وعبادتها قد عُرفت قديمًا في الجاهليّة. ومن أيمانهم بها قولهم: « لا والدُمى » اي وحق الآلهة المعبودة. وقد وقعت الدمية في بيت من قصيدة للنابغة الذبياني حكَمِ الشعراء في سوق عكاظ قال:

او دميةٌ من مرمرٍ مرفوعةٌ بُنيت بآجرٍ تُشاد وقَرمدِ (١

ومن ذلك كلمة « الأيِّل » فقد عرّبها العرب قديمًا عن السريانيّة ولم ينبهوا اليها وحوّلوها عن وزنها الاعجمي الاصلي الى وزن قِنَّب وخُلَّب وسَيِّد وبعض الاعراب يلفظونها الاجّل فيبدلون من الياء جيمًا. وتمحّلوا لها اصلًا عربيًّا قالوا: انما سُمّي الوعلُ ايّلًا لانهُ يؤول الى الجبال فيتحصّن فيها. وهو تعليل ساقط كما يظهر بادنى تأمّل

اما اشتقاقها من السريانيّة فمما لا شبهة فيهِ وهي معرَّبة عن ܐܝܠܐ (أيل) واصل اشتقاقها من ܐܝܠܢܐ معناهُ الغصن والفَنَن وعليهِ يكون المراد بالأيّل الحيوان ذو القرون ولا يخفى ان الأيّل بانواعهِ ذو قرون متشعّبة متفرّعة كاغصان الشجر. ولا يستغربنَّ القارئ هذه التسمية فهي ترجع بنا الى اول نشأة اللغات

١) كذلك الصنَم والصَنَمَة والنصمة معرّبات عن السريانية ايضًا وهي بمعنى واحد وقد اضطربوا في اصل اشتقاقها اضطرابهم بالدّمية وامثالها فمعرَّب الاولى ܨܠܡܐ (صَلَم) معناه صورة وصنم. فابدلوا من اللام نونًا ويؤيد اشتقاقها من السريانية وجود فعلهِ ܨܠܡ معناه صوّر وشَّل. والصنم كالدمية لفظًا ومعنًى وليس لهُ في العربية اصلٌ يفيد معناهُ. وذكر ابن الاعرابي النَصَمَة والصَنَمة وفسّرهما بالصورة التي تُعبَد. والصنمة والنصمة اذًا بمعنًى. وما اللفظة الثانية الّا نفس الاولى فقدّموا النون على الصاد إمّا ميلًا لتخفيف اللفظ او للتفنّن فيهِ وامثال هذا كثير في العربية كالجبذ والجذب والبثغ والبغش بمعنى المطر الخفيف

وبديهيٌ ان اللغات منذ اوَّل عهدها كانت قليلة الالفاظ ضيّقة دائرة التعبير عن معاني الناطقين. وكان المتكلمون بلغة يستخدمون من الفاظها ما وافق منها للدلالة على ما يرونهُ ولم يكن قبلًا في ذهنهم. فالكسيكيُّون مثلًا قد سمّوا الماعز اوَّل عهدهم بها «كواكوا وتنتسون» يريدون بها الحيوان ذا القرون واللحية. وترجمتها حرفيًا «رأس شجرة شفة شعر». فارادوا برأس الشجرة القرون وبشفة الشعر اللحية. وكثير من امثال ذلك في سائر اللغات

ومن ذلك «العربون». وهو ان تشتري سلعة وتدفع الى صاحبها شيئًا على أنهُ ان أمضي البيع حُسب العربون من اصل الثمن والَّا كان لصاحب السلعة ولا حقَّ لك في استرجاعه. وقد اختلف اللغويّون في مجرَّده فذكرهُ ابن الاثير في مادَّة «عرب» اعتبار انَّ النون زائدة. وأشكل على صاحب التاج فاورده في مادَّة عَرب ايضًا متابعةً لابن الاثير ولفريق آخر من اللغويين. ثم ذكرهُ في مادَّة عربن ايماءً الى قول من قال باصالة النون. على انَّ الذين ذهبوا الى القول الاوَّل قد تخيَّلوا لهُ اصلًا غريبًا فقال بعضهم انهُ مشتق من التعريب الذي هو البيان لانهُ بيان للبيع. وفي لسان العرب لابن منظور: سُمّي بذلك لان فيه اعرابًا لعقد البيع اي اصلاحًا وإزالة فساد لئلا يملكهُ غيرهُ باشترائه. وقد اسند قولهُ الى ما جاء في حديث عُمر وهو ان عاملهُ اشترى دارًا السجن باربعة آلاف وأعربوا فيها اربعمائة اي أسلفوا

والذين قالوا باصالة النون صرَّحوا بانهُ حرف اعجمي أنَّما عرَّبتهُ العرب وصرَّفوا منهُ فقالوا عَرْبَنتُ بالشيء. اي أسلفتُ

وزعم بعضهم انهُ من الأُربة وهي العقدة وعلى هذا تكون عينهُ مبدلة من الهمزة وعلَّلوا لهُ قالوا سُمّي أربونًا لانَّ بهِ يكون انعقاد البيع. ولم ينتهِ اختلافهم فيهِ عند هذا الحدّ فقط بل قد تمادى بينهم الخلاف في حقيقة لفظهِ على تسعة اقوال فقالوا هو: العَرَبون والعُرْبون وفيهما بالاسكان والعُرْبان والعَرَبان والعُرْبَان والأُربون والأُربان. وزاد بعضهم لغةً عاشرةً فقال هو الرَّبون ونسبهُ غيرهُ الى العامَّة انَّها خفَّفتهُ من أربون باسقاط الهمزة. وقد جاء في السريانية ايضًا ܪܗܒܘܢܐ رهبون او رعبون وعلى هذا يلفظها جلّ عامَّة اللبنانيين انَّما يبدلون الهاء منها بعين غالبًا وقد تتعاقبان في لفظهم لقرب مخرجهما والكلمة يونانيةُ الاصل بهذا المعنى معرَّبة عن ἀρραβών وليس لها اشتقاق ترجع

اليهِ لا في السريانية ولا في العربية كما رأيت خلافًا لليونانية(١. ومما يُرادفها من العربي الفصيح لفظة المُسكان والعامة تقول مَسكة واشتقاقهما من المَسك. ومما يرادف العربون ايضًا السَلَم والسَلَف بالتحريك فيهما

ومن ذلك ايضًا كلمة « الزبون » جاء في القاموس: الزبون الغبي والحَريف مولَّد. وفي الصحاح: ليس من كلام اهل البادية

اقول انَّ الزبون بالمعنى الاول هو فارسي ومعناهُ بالفارسيَّة الضعيف الاخرق والسخيف العقل. امَّا بمعناهُ الثاني فهو سرياني معناهُ البائع. والشراء. وقول التجَّار « لي زبائن » مأخوذ منهُ. فالكلمة بمعناها الاخير معرَّبة عن ܙܒܘܢܐ وفعله ܙܒܢ شرى وباع ضد. وقد ورد في بعض المعاجم ان الزَّبن هو الشراء والبيع فكأنَّهُ عُرِّب بمعنييهِ. وقد عامت ان الزبن باعتبار اصلهِ السرياني هو البيع والشراء مطلقًا. امَّا العرب فلمَّا جهلوا اصلهُ هذا تضاربت آراؤهم في تعريفهِ فقالوا: هو بيع كل ثمر على شجرهِ بتمر كيلًا. او هو بيع الرُطب في رؤوس النخل بالتمر كيلًا (أُطلق في القول الاول قُيِّد في الثاني). او هو بيع جُزاف لا يُعرف كيلهُ ولا عددهُ ولا وزنهُ بمسمًى من مكيول او موزون او معدود. او هو بيع معلوم بمجهول من جنسهِ. او بيع مجهول بمجهول من جنسهِ. او بيع المُغابنة في الجنس الذي لا يجوز فيهِ الغبن...

وقالوا في اشتقاقهِ انهُ من الزَّبن بمعنى الدفع. وهو اشتقاق غريب كما لا يخفى

ومن ذلك ايضًا « الظُهر » وعرَّفوه انهُ ساعة الزوال. وزعموا أنهُ عربي مأخوذ من ظهيرة الشمس وهي شدَّة حرها. وهو زعم باطل كما اظنّ لانهُ لو كان اشتقاقهُ من الظهيرة بمعنى الهاجرة لامتنع ان نقول ظهرًا لمنتصف نهار فصل الشتاء والربيع والخريف لانهم منعوا ان يُقال ظهيرة لغير أيام القيظ على ما افاد ابن الاثير وابن سيده. ناهيك عن ان الظهر والظهيرة ليسا في شيء من معاني الحرّ والأُوار اصلًا. امَّا الظُهر فهو سرياني ودلالتهُ الاصلية النصف والوسط مطلقًا فيقال: ܛܗܪܐ ܕܠܠܝܐ نصف الليل كما يقال ܛܗܪܐ ܕܝܘܡܐ نصف النهار و ܛܗܪܐ ܕܝܪܚܐ نصف الشهر فهو اذًا بمثابة ܦܠܓܐ (نصف) غير انهُ فيما بعد صار علمًا بالغلبة لمنتصف النهار وذلك عند إطلاقهِ

١) يردّ هذا القول انَّ لفظة عربون وردت في العبرانية قبل اليونان في سفر التكوين (٣٨: ١٧، ١٨، ٢٠) كما ان لفظتي « دُبة وأيل » تكرَّرتا في الاسفار المقدسة قبل السريانية (المشرق)

ومما مرَّ بك تعرف الفوائد المُكتسبة من هذه الابحاث فانها تطلعك على الدلالة الاصليّة للكلمة وتوقفك على حقيقة لفظها وتتجلى لديك بعض الحقائق التاريخيّة التي كانت تُغشيها ظلمات القدم وغير ذلك من الفوائد اللُغويّة

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

ترقّي النصرانية في القرن الرابع

حان ان نعود الى تاريخ انتشار النصرانية في لبنان بعد استطرادنا الى ذكر مبادئ العيشة الرهبانيّة فيه

لمّا تبوّأ قسطنطين الكبير منصّة الملك اخذت قدم النصرانيّة ترسخ في لبنان ولعلّها كانت طمست آثارَ الوثنيّة لولا بدعة آريوس التي بذرت في قلوب المؤمنين وخصوصاً بين الاساقفة بذر الشقاق والنفور فجعل الآريوسيون يفرغون كنانة الجهد في مطاردة الرعاة الاورثذكسيين ومعاكستهم لا يهمّهم شيء من امر الوثنيين واثارتهم بضياء الايمان. بل كان المشركون يزيدون تباعدًا عن الكنيسة لما يرون في احبارها من تفرّق الكلمة في اكبر عقائد النصرانيّة اعني لاهوت المسيح ومساواتهُ لابيهِ في الجوهر

امَّا مُلك جليان الجاحد فأولى الوثنيّة انتصاراً لم يكن في حسبان اهلها. فاستأنف المشركون فتح الهياكل المُقفلة ورمّموا ما تهدَّم من المعابد. والمرجَّح انَّ هيكل الزهرة في افقا جُدّد بناؤهُ في ذلك العهد كما أُصلح قسمٌ من معبد المشنقة (١ وعاد الوثنيّون فاحتفلوا باسرار ادونيس اي تمّوز بأبّهة عظيمة كمألوف عادتهم سابقًا. ونال بيروتَ نفسها اضطهادُ عبدة الاصنام فانَّ الكتت مغنوس قدم هذه المدينة ومعهُ فريق من الجند واليهود فاخربوا كنيستها الكبرى ولا غرو ان كنائس لبنان اصابها ما اصاب كنيسة بيروت من حريق ودمار

(١) راجع بحثنا فينيقية ص ٢٨٦

ولكنَّ الله اللطيف بعباده جازى وشيكاً جليان على كفره واقام خلفاً لهُ يُثيان وكان رجلاً تقيّاً مبغضاً للشرك فامر الكنت مننوس بان يشيّد كنيسة بيروت على نفقته ولولا حلم الملك لقطع رأسهُ واصاب الجزاء عمّاً جنت يداهُ من الآثام العديدة

وممَّن اشتهروا في ذلك العهد نابك لا يزال ذكرهُ مكرَّماً في لبنان وهو القديس موسى الحبشي الذي اختارتهُ ماوية ملكة العرب اسقفاً لقومها وسامهُ القديس اثناسيوس الاسكندري فتولّى رعاية العرب المقيمين في شبه جزيرة سينا وفي جنوبي فلسطين

ولمَّا صار زمام الملك الى يد ثاودوسيوس الكبير أُصيبت الوثنيَّة في سواد قلبها فانَّ هذا العاهل الشهير امر كبير قوّاده سنة ٣٨٤ بان يُقفل هياكل الاصنام ليس فقط في لبنان بل في الشرق باسره. وفي سنة ٣٩٢ في العشر الاول من تشرين الثاني سنَّ شريعة ثانية كان مؤدَّاها ان تُبطل عبادة الاوثان فلم يتجاسر الوثنيون على مقاومة السلطة. لكنَّ بعضاً منهم ثبتوا على عاداتهم ومارسوا دينهم خفيةً في القرى المنفردة والجبال القاصية. وكان القياصرة مع ذلك لم يهدموا هياكل الاصنام بل اكتفوا بان يبطلوا فيها المناسك الدينيَّة. والدليل على ذلك ان الدستور المعروف باسم ثاودوسيوس يتضمَّن عدَّة شرائع سنَّها الملوك النصارى تقضي بمعاقبة الذين يسعون في خراب الهياكل الوثنيَّة وكانت غايتهم بذلك ان يحافظوا على آثار الاقدمين لحسن هندستها (١ وكانوا في الغالب يخصّصون هذه الابنية لخدمة الدين الحقيقي فيجعلونها كنائس مسيحيَّة (٢. الّا ان ذوي الامر اضطرُّوا في بعض المواطن الى استعمال القوَّة الجبريَّة وتقويض المعابد الوثنيَّة خصوصاً في بلاد فينيقية ولبنان. فمن جملة الابنية التي اجاءتهم الاحوال على نسفها زونُ الزهرة في افقا لانَّ سَدَنتهُ كانوا اتخذوهُ كماخور يجترحون فيه الفحشاء واقظع الارجاس باسم دينهم الباطل

ومن بدء القرن الخامس للمسيح لمَّا استوى القديس يوحنا فم الذهب على كرسي

---

١) راجع P. Allard : *L'art païen sous les empereurs chrétiens*

٢) راجع كتابات سورية وحوران لوادنتون (ع ٢٤٩٨). ومن الهياكل التي جعلها النصارى كنائس هيكل بعلبك المعروف باسم تريليتون (Trilithon) وكنيسة مار يوحنَّا في دمشق المعروفة اليوم بالجامع الاموي

القسطنطينيّة (٣٩٨–٤٠٧) اراد ان يستأصل من لبنان شأفة الشرك فارسل قوماً من دُعاة الدين ليرشدوا اهل لبنان الى طريق الهدى (١ وقد لاقى هؤلاء المرسلون في تنفيذ دعوتهم مشاكل عديدة فطرد الاهلون بعضاً منهم وقتلوا آخرين. على انّ هذه المعاملة السيئة لم تكن لتثني عزائمهم فواصلوا الانذار والتبشير وبالغوا في ملاطفة السكّان حتى اجتذبوهم الى عبادة الاله الحقيقيّ. وممّا اتّخذوا من الوسائل لإبطال الاثنيّة انهم جعلوا لاهل لبنان الاعياد واقاموا المواسم احتفاءً باسرار الدين النصراني الطاهرة فعدلوا بهم عن الحفلات الوثنيّة الى العبادات والمناسك الخلاصيّة

تنظيم الكنائس في لبنان

وفي مطاوي هذا القرن الخامس جُعِلت كنائس لبنان على نظام قانوني فقُسمت الى قسمين كنائس فينيقية الساحليّة وكنائس فينيقية لبنان وفقاً للتقسيم المدني الذي جرى عليه اولًا ديوقلسيان (راجع المشرق ٣: ١١٠٣). وقد ذكرنا هنا هذا التنظيم ازالة للالتباس لانّ الكراسي الاسقفية اصابها بذلك بعض التغييرات وعُدّت من ايالةٍ غير التي كانت معدودة منها سابقاً. وما يهمّنا نحن في مقالاتنا عن آثار لبنان انّما هي فينيقيّة الساحليّة امّا فينيقية لبنان فانها كانت تشمل الجبل الشرقيّ ومنعطف لبنان من جهة الشرق وعليه فانها لا تدخل في حيّز مباحثنا

وجُعلت صور رأس ولاية فينيقية الساحليّة واضحى كرسيها لهذا السبب متقدّماً على بقيّة كنائس الولاية فدُعي لذلك بالكرسي الاوّل (πρωτόθρονος) في بطريركيّة انطاكية وجُعلت تحت حكمه كراسيّ اسقفيّات عديدة نذكر من جملتها ما لهُ علاقة مع لبنان الحالي وهي: ١ً صيدا. ٢ً برفيريون والمدعوّة اليوم النبي يونس وتدعى ايضاً برجا موقعها بين بيروت وصيدا. (٢. ٣ً جُبيل او بيبلوس. ٤ً البترون او بُتريس. ٥ً غيغرتا (٣. ٦ً ترياريس (Trierès) وهي المسمّاة اليوم

١) راجع تاريخ تاودوريطس (ك ٥ ع ٢٩) ورسائل القديس يوحنّا فم الذهب (ع ١٢٢، ١٢٦) الّا انّ هذه الرسائل مع ذكرها لبنان لا يظهر منها جليّاً أيُرادُ منها لبنان الحالي او جبال النصيريّة ولعلّ المقصود منها هذه الجبال

٢) وسنعود الى ذكر آثارها

٣) امّا موقع هذه المدينة فسنبيّنهُ ان شاء الله

أنفة (١٠٧ طرابلس. ٨ عرقا (٢٠٢ ٩ اورثوسياس (٣٠ امّا بيروت فمع كونها واقعة في ولاية صور الكنسيّة كانت مستقلّة عنها . ورقي اساقفها الى مرتبة مطران ولكن لم يكن اساقفة تحت حكمه (٤

وهذا ولا نشكّ في انّ بعض قرى لبنان الكبرى كاهدن وبشرّاي واميون (في الكورة) كان لها رؤساء روحيّون من درجة الخورفسقفوس. وكانت هذه الرتبة شائعة في ذلك العصر. ولنا شاهد في ما ذُكر عن القديس باسيليوس اسقف قيسارية انهُ كان تحت امره خمسون خورفسقوفًا الّا انّ هذا المنصب الكنسي ابتذل لكثرة شيوعهِ فامتزج بدرجة رعاة القرى. وما اسم «الخوري» الّا اشتقاق من اسم الخورفسقوفس

وفي هذا العهد ايضًا انتظمت الطقوس الكنسيَّة المهمّة الى ان صارت بعد زمن على هيئتها التي نألفها اليوم. وممّن ساعدوا على تنسيق هذه الطقوس بعض القديسين الاجلاء كالقديس يوحنا فم الذهب والقديس باسيليوس الكبير الّا انّ هذه الطقوس لم تُنسِ ما كان سبق اليهِ القدماء من الرُتب الدينيّة كالطقوس الرسوليَّة والرُتب التقليدية منها الليتورجيّا الشريفة المنسوبة الى القديس يعقوب وغير ذلك

امّا اللغات الكنسيَّة فكانت محصورة في اللغتين اليونانيّة والسريانيّة ولم تشع اللاتينيّة كافة طقسيّة وانّما كانت لغة الدولة الرسميَّة فقط. وقد استعملها اهل بيروت مدّة ثمّ انحصرت في ضمن مدارسها الفقهيّة الشهيرة. الّا انها أُهملت شيئًا فشيئًا حتى أُبطل استعمالها وكانت كنائس المدن الساحليّة تؤثر في طقوسها اللغة اليونانية امّا كنائس الجبل فكانت السريانية هي الغالبة على ألسنة كهنتها (راجع المشرق ٣: ٢٦٧). وزادت السريانية انتشارًا في لبنان لمّا صارت السيطرة فيه للطائفة المارونية

انتصار النصرانية نهائيًا على الوثنية في لبنان

بعد وفاة القديس يوحنا فم الذهب قدم لبنان من مدينة الرها احد النسّاك فتوطّنهُ

---

١) هذا الصواب وليس كما ورد في المنار (ص ١١٤ من السنة ١٩٠٠) انّما «حصن ساحلي شمالي طرابلس ربّما القلمات» ٢) واخربتها تُعرف الى اليوم بهذا الاسم

٣)- تدعى اليوم اورتوزي بجوار نهر البارد

٤) خلافًا لما جاء في مقالة المنار السابق ذكرها (ص ١١٤). وهذه المقالة تستدعي عدّة اصلاحات. نقول ذلك رعاية للحق مع ما نعرفهُ من فضل كاتبها الذي اخبرنا لطفهُ يوم زرنا دير البلمند

وجعل يسعى في هداية اهلهِ الوثنيين. ذكر ذلك البولنديون في تاريخ ١٤ شباط. ولعل المراد بلبنان في ترجمة الناسك المذكور انّما هو جبل عكّار لانّ النصّ الوارد فيهِ اسم هذا العابد يشير الى مدينة حمص. وهي كما لا يخفى مجاورة لجبل عكار

وكذلك تكرَّر ذكر لبنان في ترجمة حياة القديس سمعان العمودي فانَّ راوية اخبارهِ يقول عنهُ انهُ انجز هداية اهل لبنان فرجَّعهم الى الدين القويم بما اصطنعهُ من المعجزات الباهرة. لكنَّنا هنا ايضًا لا يمكننا القطع بان المراد بلبنان الجبل المعروف اليوم بهذا الاسم. ونحن نعلم انَّ هذا القديس اشتهر في ولاية حلب في الجبل المسمَّى اليوم بجبل سمعان. على انَّ الذي يُمعن النظر في اقوال مؤرخيهِ لا يرى ما ينفي لبناننا الحالي لان الزوَّار كانوا يتقاطرون الى عامود القديس من بلاد بعيدة فكان العرب يأتونهُ من اقاصي البادية ليستمعوا تعاليمهُ. ثمَّ انَّ اوصاف لبنان في تواريخ هؤلاء الكتبة توافق جبلنا منها ذكر الغابات والوحوش الضارية ومعابد الاصنام وتعلُّق الاهالي بعبادتها بحيث لا يرذلون خدمتها الّا بعد نظر العجائب التي تجري على يد القديس سمعان. فكل هذه الاوصاف تصدق عن جبل لبنان الحالي. غير انَّ اسم لبنان وحدهُ ليس بكافٍ لنجزم بهذا الامر وقد قلنا سابقًا انَّ هذه التسمية كانت تشمل في القرنين الخامس والسادس جبالًا أُخرى

وان قال قائل انَّ المراد بلبنان انّما هو لبناننا الحالي لأنَّهُ ورد في اثناء ذكر لبنان اسمُ احدى قراهُ وهي قرية اندارس (Andaris) الواقعة لقرية عين دارا في معاملة العرقوب الشمالي. اجبنا انَّ هذه الموافقة بين الاسمين ليست مقرَّرة ثمَّ انَّهُ يُحتمل ان ضيعةً تدعى عين دارا اشتهرت سابقًا في جبال غير لبنان الحالي ممَّا كان يُعرف ايضًا باسم لبنان كجبل النصيريَّة وجبل الشيخ. فترى من ثمَّ انَّ هذه الافادات ليست بكافية لتدوين هذه الاخبار في تاريخ النصرانية في لبنان

ولمَّا ظهرت البدعة النسطوريَّة وجدت في بعض اساقفة لبنان صدًى لتعاليمها الفاسدة. فانَّ افرادًا منهم انحازوا لحزبهِ. وفي بيروت التأم الجمع الذي حكم على ايباس اسقف الرها احد انصار نسطوريوس. وكان ذلك حسب منطوق اعمال الجمع « في بيروت المدينة الفائقة الجمال في دار اسقفها الحديثة بجوار الكنيسة الجديدة المقدَّسة »

امّا بدعة اوطاخي فكان لها في لبنان عاقبة اوخم من النسطوريّة فقشا سنُّها في بلاد الشام وألحقت باهلهـا مدّة زمن مديد اضرارًا لا يُسبر لها غور. وكان اوستات اسقف بيروت تشيَّع جهارًا لاوطاخي. فجازاه ملك الروم بان اصدر براءة ورد فيهـا انهُ «يخوّل مدينة بيروت المزدانة بالفضائل اسم حاضرة (métropole) مع الامتيازات التي تُعطى لأمّهات المدن». فظنّ اوستات انّ رقيم القيصر كافٍ ليمدّ سلطتهُ الروحية على اساقفة جبيل والبترون وطرابلس وغيرها من الاسقفيات الواقعة في شمالي فينيقيـة الساحلية. الّا ان مطامعهُ رُذلت بعد زمن قليل في عهد مرقيان الملك

وقد تعطّر لبنان بفضائل بعض القديسين في اواسط القرن الخامس للمسيح نخصّ منهم بالذكر القديسة مطرونا وُلدت في اسيا الصغرى ثمّ اقامت ديرًا في حمص وانتقلت اخيرًا الى بيروت فاثارت جمًّا غفيرًا من النساء الوثنيات بانوار الايمان

ومنهم القديس ربولا السُّميساطي قدم بيروت في ايّام الملك زينون ثمّ تعبّد لله في جبال لبنان المعتزلة. وجاء في تاريخ قديم (راجع اعمال القديسين للبولنديين ١٥ شباط ص ١٢٦) «انّ ربولا المذكور شيَّد بمُساعدة زينون القيصر ويوحنا حاكم بيروت ديرًا كبيرًا في وسط الجبل. وكان يعيش مع رهبانهِ بين الجبليين وهم وقتئذٍ متسكّعون بظلمة الوثنية فعرض عليهم اسرار الديانة وردّ جمّهم واجتذبهم الى الدين القويم الّا نفرًا قليلًا منهم». فيؤخذ من هذا الكلام انّ عبادة الاصنام لم تُطمس بعدُ آثارها في لبنان نحو مئة سنة بعد ثاودوسيوس الكبير

ولعلّ القارئ يسأل وما هو الدير الذي عمّرهُ ربولا الراهب? قال الاب مرتينوس اليسوعي في تاريخ لبنان (ص ٢٣٨٩ من تاريخهِ المخطوط): «ان الدير المومأ اليـه هو دير القمر». لكنّنا لا نرى على اي حجّة بنى الاب مرتينوس زعمهُ هذا. وغاية ما نعرف عن دير القمر ان ذكرها ورد في تاريخ الصليبيين ولكن هـذا ليس ببرهان مقنع. لاسيما اننا نرى في لبنان قرًى غيرها دخل في تركيب اسمها اسم الدير فيصحّ فيها قول الكاتب المنوَّه بهِ وبعضُها ليس بعيدًا عن بيروت لان النص يشير الى دير قريب منها

وزادت بدعة اوطاخي انتشارًا في سوريّة لمّا ظهر ساويروس الانطاكي. وكان المذكور قضى سنين عديدة من عمرهِ في بيروت حيث درس الفقه ثمّ تعمّد في طرابلس (١

(١ راجع المشرق ٣: ١٠٠٢ وكتاب الاب نو Opuscules maronites II, 49 *seqq.*

وصار بطريركًا دخيلًا على انطاكية وتفانى في نشر الشيعة الاوطاخية. لكن الله اقام لدينه الحقّ محامين يدافعون عنهُ لاسيما في عداد الرهبان. والكنيستان الشرقية والغربية تحتفلان في ٣١ تموز بعيد ٣٥٠ راهبًا قُتلوا في سبيل الايمان سنة ٥١٧. كان المبتدعون كنّوا لهم يومًا وهم سائرون الى كنيسة القديس سمعان العمودي التي موقعها في جبل بركات شماليّ غربي حلب. وقد ذكرناهم هنا لانّ اللبنانيين يقيمون لهم عيدًا حافلًا ولو كان استشهادهم قد جرى خارجًا عن لبنان وعن فينيقية. وانّما اصلهم كان من ولاية سوريّة الثانية التي حاضرتها افامية (قلعة المضيق) وموقعها شمالي فينيقية لبنان. امّا فينيقية لبنان هذه فقد سبق ان حاضرتها كانت مدينة حمص وانّها تشمل قسمًا من لبنان الشرقي ومعظمها داخل في فينيقية الساحلية

وكان هؤلاء الشهداء ينتمون الى دير مار مارون. وكان هذا الدير مبنيًا في جوار افامية في وادي نهر العاصي (١. قال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف (ص ١٦٣) يعرّف موقعهُ انهُ: «شرقي حماة وشيْزَر ذو بنيان عظيم حولهُ اكثر من ثلاثمائة صومعة فيها الرهبان وكان فيهِ من آلات الذهب والفضة والجوهر شيء عظيم فخرب هذا الدير وما حولهُ من الصوامع بتواتر الفتن ..... وهو بقرب من نهر الأرنط نهر حمص وانطاكية». ولدينا العريضة اليونانية التي ارسلها رهبان هذا الدير للبابا هرمزداس يخبرونهُ باستشهاد اخوانهم ووقّعوا عليها بما نصّهُ: «نحن الحقراء الارشيمندريين ورهبان سوريّا الثانية». امّا رئيسهم فقد وقّع الرقيم كاتبًا: «انا ارشيمندريت مار مارون». فمّا سبق ترى ما كان لهذا الدير من الخطورة والشأن وعدد الرهبان. امّا الاسباب التي حملت الموارنة على اكرام هؤلاء الشهداء فهي ثلاثة ذكرها صاحب مروج الاخيار: «اولًا لانّ اكبر اديار هؤلاء الشهداء الطوباويين كان معروفًا باسم القديس مارون وارشيمندريت الدير هذا كان اسمهُ اسكندر وهو اوّل من امضى الرسالة التي رُفعت الى البابا هرمزداس القديس. ثانيًا لانّ كثيرين من هؤلاء القديسين كانوا يتشجّعون على الثبات في الايمان والاستشهاد امام ذخيرة هامة القديس مارون الثمينة التي كانت بهذا الدير. وثالثًا بما انّ هؤلاء الرهبان القديسين كانوا أشجع المناضلين عن الايمان الكاثوليكي الذي يغار لهُ الموارنة غيرةً لانهم كانوا

١) راجع كتاب الاب نو السابق ذكره (ج ٢ ص ٢٢)

خاضعين اتمّ الخضوع لكرسي هامة الرسل. والطائفة المارونية تفتخر بانها تقتفي آثارهم في ذلك »

وقبل ذلك بزمن قليل (سنة ٥١١) كان الملك انستاس طرد من القسطنطينية عددًا غفيرًا من الراهبات المستقيمات الايمان فقصدنَ لبنان واتّخذنهُ لهنَّ سكنًا وعطّرنهُ بعرف فضائلهنَّ. وفي اختيارهنَّ لبنان للعزلة دليل على انَّ اهلهُ كانوا يوذلون الشيعة الاوطاخية

والارجح انَّ كنيسة دير پرفيريون (اليوم برجا او النبي يونس) بُنيت في ذلك القرن السادس. وكذلك كنيسة القديس فوقا على مشارف الجبل (١. وقد ورد ذكر هاتين الكنيستين في تاريخ الابنية للمؤرخ پروكوپ. وكان بانيهما الملك يوستنيان الذي اشتهر بغيرته على بناء الكنائس. وليس يستبعد انَّ اقدم كنائس لبنان المعروفة اليوم تشيَّدت في عهده او على يد المهندسين الذين جروا على طريقة بنائهِ. مثال ذلك كنيستا اهدن وكفر شليان اللتان تشبهان كل الشبه الكنائس البوزنطية المنسوبة الى هذا الملك. ولعلَّ كنيسة حدتون المهدومة التي ذكرناها في المشرق (٣:١٠٢٢ و ١٠٢٦) من هذا القبيل فيكون بناؤُها سبق دخول الموارنة في لبنان. لنا في تأييد قولنا بعض الحجج منها وجود كتابتين يونانيَّتين الواحدة اكتشفها رينان واكثر حروفها مطموسة والاخرى وقف عليها الفقير كاتب هذه الاسطر (٢ وفي كتبتيهما ما يشير الى قدم هذه الكنيسة. ومنها الطرز الهندسي والنقوش وضروب الفسيفساء. فانَّ كلَّ ذلك يلمع الى عهد يوستنيان.

فترى مما تقدَّم انَّ النصرانية في القرن السادس لاسيما اواخرهُ لم تملك فقط في المدن الساحلية بل بان شأوها على كل اخصامها في لبنان. وكانت مدينة بيروت حافلة بالكنائس (٣ واهلها معتصمين بحبال الدين. وكذلك تفيدنا ترجمة البطريرك ساويروس السريانية ان العاملة اللبنانية المجاورة لبيروت كانت مستوثقة بعروة الدين. وهناك اشتهر احد الرهبان العامودين الذي كان يسكن في قرية قريبة من البلدة لم يُذكر اسمها. وكان هذا

---

١) راجع پروكوپ (ك ٥ ع ٩). على ان پروكوپ بقولهِ « مشارف الجبل » لم يذكر لبنان وانما يؤخذ ذلك من قرينة كلامهِ لانهُ ذكر الجبل بعد ذكر پرفيريون والساحل الفينيقي

٢) راجع مجلة الشرق المسيحي ١٨٩٩ ص ٥٦٥ , ٥٦٩   ٣) راجع المشرق ٣: ١٠٠٤

الراهب شديد التمسُّك بالدين الارثذكسي يدافع عن الايمان الكاثوليكي مدافعة الشهام. وممَّا روي عنهُ انَّ بعض اشياع اوطيخا من الطلبة الذين اتوا من الاسكندريَّة الى بيروت ليدرسوا الفقه زاروهُ يومًا فلامهم عن تشبُّثهم بتعاليم الهراطقة. وفي خبر هذه الواقعة ما يُشعر بانَّ الشيعة اليعقوبية لم تُعقد بعدُ لاصحابها كنيسةً في بيروت

ومن الشواهد اللامعة الدالَّة على انتشار النصرانية في لبنان العيد الحافل الذي أُقيم فيهِ لمَّا عاد هرقل ظافرًا ومعهُ الصليب المقدس الذي انقذهُ من يد الفرس. فأُقيم في لبنان حفلات بهيجة جعلها اللبنانيون سنَّةً لهم يعيدون ذكرها في كلّ عام في ١٤ ايلول

الَّا انَّ هرقل الملك كسف شيئًا من بهاء انتصاره بما اعارهُ من المساعدة لهرطقة المونوتليتيين اي القائلين بالمشيئة الواحدة في المسيح. فكانت هذه المضافرة الملكيَّة سببًا لنشوء هذه البدعة في سوريَّة وخصوصًا في وادي العاصي. لكنَّ هذا الوباء لم يَسْرِ حتى لبنان وكفاهُ بذلك شرفًا

وممَّن تصدَّوا لهذه العدوى القديس صوفرونيوس الدمشقي الاصل بطريرك اورشليم. وقد زعم البعض انهُ وُلد في لبنان في قرية بسري. وهو قول تردهُ الادلّة العديدة كالبناون والبولنديين (في تاريخ ١١ اذار) بل يفندهُ القديس صوفرونيوس نفسهُ في قصيدة لهُ وردت في مجموع اعمال الآباء (مين ج ٨٧ ص ٣٤٢١) قال عن نفسه انهُ من مدينة دمشق التي تكلّلها قممُ لبنان (Λιβανοστέφανος) فقاوم هذا الاب القديس الجليل الشيعة المونوتليتيَّة التي جعلت الدولة البوزنطية على قاب قوسين من هلاكها في سوريَّة. لكنَّ الله كفى لبنان شرَّها وجعل مذ ذاك هذا الجبل معتصمًا لائذًا باهدابه الديانة الكاثوليكية الى يومنا (ستأتي البقيَّة)

العوائد اللبنانية

لحضرة الاب الفاضل الخوري يوسف تاتي الماروني

(لاحق بسابق. راجع المشرق ٣ : ٥٨٦)

في ألعاب الاحداث

لأحداث اهل لبنان عدَّة ألعاب ترى البعض منها شائعًا في بلاد غير بلادنا والبعض

١) مجلّة الشرق المسيحي ١٨٩٨ ص ٣٨٠

الآخر تفرّد بهـا صغارنا وهي تنبئ على طباعهم. وقد احسن من قال انّ لا شيء يعرّف ما يكون عليه الولد من السجايا والخصال في مستقبل الأيام كما يدلّ عليه اللعب اذ هو يسترسل الى ملذّاته وينهمك في ملاهيه التي تروق له

١ (الركوب على العصا) هي لعبة شائعة في اربع خوافق المعمور. ذكرها الشاعر اللاتيني (١ كما انّه كان يرتاح اليها اطفال الرومان. ولعلّ احداث لبنان أولع بهذا اللعب من غيرهم لكثرة القصب في بلادنا وربّما اخذوا لذلك « شلح قرع » اي عرقة لطوله. فترى الصغير يركب جواده كالفارس المغوار ولا يبرح سائرًا في طريقه وهو يركض فرسهُ يقودها بيمينه ويستحثّها بعصاه الى ان تخور قواه او يتحطّم مركوبهُ فيكفّ عن السير بعد ان راض جسمهُ احسن رياضة

٢ (الجمال) هو لعبٌ رأيتهُ للاولاد في بعض القرى. يعمدون الى حجر يشبه اعلاهُ سنام الجمل فيربطونهُ ويجرّونهُ وراءهم بجلبة عظيمة حتى ينتهوا الى بيت صغير بنوهُ من الحجارة والملاط فيُدخلون فيه جملهم ليبيت فيه. ولذلك دعوا هذا اللعب بالجمال. والجمال عندهم لعبٌ آخر ايضًا وهو ان يحني احدهم ظهرهُ فيطفر عليه رفقتهُ ولا يزال ينهض الى ان ينتصب تمامًا فيتمّ عليه الآخرون أو يعجزون عن الوثوب فيحنون ظهرهم بدلهُ

٣ (الدرش) ومن العابهم الشائعة الدوش (٢ وكان قدماء العرب يدعونهُ الطَّث (palet). والدَّوش عبارة عن حجر مستدير يرمون به حجرًا آخر كرويًّا كالليمونة يسمّونهُ النُّكرة. وكيفيّة لعبهم به ان يجعلوا النُّكرة في موضع معلوم ثمّ يرمي كل واحد من اللاعبين دوشهُ اقرب ما امكنهُ من النكرة. فالذي زاد اقترابًا منها بدأ بضربها فان اخطأ النكرة ضربهـا غيرهُ من اللاعبين. وان اصابها فأزالها عن مكانها عدَّ مقدار الاقدام التي جرّتها النكرة. ثمّ يضربها ثانيةً من الموضع الذي وقف فيه بعد ضرب دوشهُ ادراش اللاعبين ولا يزال يعدّ قدر الأقدام الى ان « يُغطم » اي يخطئ النكرة فيصير الدور الى غيره او يبلغ عددًا من الأقدام معيَّنًا بها ينتهي « الدق ». ويكرّرون ذلك ما شاؤوا

١) راجع شعر هوراس: (Equitare arundine longa, H. II, S. 3. 246)

٢) الدوش كلمة عاميّة ترجّح ان اصلها من السريانية ܕܘܫ اي داس ووطئ. يؤيد ذلك مثل يقولهُ العامّة: لا تأخذ الدنيا دَوْش. اي لا تعبث بالامور كمن لا يبالي اين تدوس قدمهُ

٤ (الكعاب) للعب الكعاب (osselets) طرائق كثيرة . منها « القلبة » وهي ان يسمى اللاعب في قلب كعب رفيقه من وجه الى آخر فان فعل كان هو الرابح . و « الأشطيا » لعبة تُضرب فيها كعاب مصفوفة فاذا قذف اللاعب احدها الى مسافة اقدام معلومة كان الفائز . و « الخيطا » او الخوطا » (١ يفوز فيها من اخرج كعاب رفاقه كعبًا كعبًا من دائرة يخطّونها في الارض

ولأوجه الكعاب عندهم اسماء معروفة فيدعون الرأس « سلطانًا » وعكسهُ « قيطًا » وجانبهُ المقوَّر « جورًا » والمحدَّب « ظهرًا » . ومن اصطلاحاتهم انَّ اللاعبين اذا مرَّ بهم ولد لا يشاركهم في اللعب يقولون لهُ « جُورك » يمنعونهُ بذلك ان « ينتش » الكعاب فيذهب بها

٥ (الطقّة والابرة) ومن العابهم الطقَّة والابرة . وطريقتها ان يأخذ احدهم عودًا صغيرًا يدعونهُ « ابرة » ويركز طرفيه على حجرين ثم يقذفهُ بعصًا يدعى طقّة ابعد ما امكنهُ . فيتلقّاهُ لاعب آخر فيرمي به نحو الحجرين فاذا سقطت الابرة بقربهما على مسافة اقصر من الطقّة ربح والّا قاس الضارب المسافة من الحجرين الى الابرة ثمّ ضربها ثانية على احد طرفيها فترتفع فيقذفها بالطقة وهلمّ جرًّا . وعلى صاحب الطقة ان يردَّ الابرة بعصاهُ عند ما يحاول اللاعب الآخر ان يرميها عند الحجرين . وللصغار كلمات مضحكة اصطلحوا عليها في لعبهم فيقولون : « طقة تبري . ثنتين تجري . ثلثة تسقط . حدّها يلقط خرم الابرة » . هذا الى الخمسة ثمّ يستعملون الاعداد المعروفة من الخمسة فما زاد ومنهم من يبدل اسم الاعداد باسماء الشهور والاثمار فيقولون : « تموز تشرين . ايش تأكل العنب والتين الخ » . وهذا النمط الاخير أنسهُ اولاد البقاع حيث تكثر الاثمار المشهورة بجودتها

٦ (الخواتم) ولهم لعبٌ يقال لهُ الخواتم . وذلك انهم يختارون لهم بينهم ولدًا شديد الساعد جريّ الفؤاد يدعونهُ « أمًّا » ويعهدون اليه القيام بحاجاتهم كالامّ تُعنى بحاجات اولادها . ثمّ يختارون ولدًا آخر يجعلونهُ بيّاعًا ويحمّلونهُ سلّة يملأونها خرقًا وحجارة وغير ذلك من رذالة المتاع فيمشي وهو ينادي : « خواتم خواتم » فيجتمع اليه الاولاد ويصرخون الى امهم : « ياامي بدّي خاتم » . فيأتي البيّاع وتشرع الام تساومهُ ثمن الخواتم

(١ من السريانية ܚܘܛܐ اي دائرة

وتشتري لكلّ ولد خاتماً . فاذا انتهى يطلب البائع حقهُ فتسوّفه اداء حقهِ وتماطلهُ تارةً بحجّة وتارةً باخرى الى ان تفرغ كنانة حيلها . فاذا لم تستطع الاحتجاج جاءَت بنكران الحترق وابت الدفع . فحينئذٍ يرفع الاولاد عقيرتهم ويصرخون : « معنا معنا (اي دراهم) وما نعطي » . فيحاول البيّاع ان يمسكهم فيلتجئون الى ذرى امهم فتحامي عنهم . والبياع لا يزال يدور حولهم حتى يمسكهم واحداً واحداً ولا ينجون من مخالبهِ حتى يغرموهُ مبالغاً من النقود على زعمهم وهي حصى يحوّشونها من الارض

٧ (اللاقوط) وبعضهم يدعوهُ اللاقوش لعب تختلف انواعهُ في كل جهة من جهات لبنان . ومجمل ما يقال فيهِ انّ اللاعبين يأخذون لهم عدداً من الحصى يضعونها على الارض الّا حصاةً يقذفها اللاعب الاول في علٍ ثم يأخذ بسرعة من الارض احدى حصاها ويلتقف الحصاة الملقاة في الهواء قبل سقوطها وهكذا يفعل بالثانية والثالثة الى ان يأتي عليها جميعاً . وان سقطت منهُ الحصاة المقذوفة عُدّ خاسراً وصارت النوبة الى آخر — ويكثرون من المصاعب في جمع الحصى فيجمع بعضهم منها الثنتين والثلاث سويّةً . وربّما اقتضى عليهِ جمعها كلها قبل تلقّي الحصاة المرميّة — ومنهم من يفرض على اللاعب شروطاً مختلفة كما ان يضرب صدرهُ او ييبس يدهُ قبل ان يجمع الحصى ويتلقّف الحصاة المقذوفة . ومنهم من يلتقط الحصى وعلى ظهر يدهِ حصاة يمنعها من ان تسقط على الارض الى غير ذلك ممّا يطول شرحهُ

٨ (الدّلك) ولكن أحبُّ الالعاب الى صغار لبنان لعب الدّلك . وهما دلكان دَلكٌ كبير ودَلك صغير . فالكبير هذا نظامهُ : ينقسم الاولاد الى قسمين قسم النازلين وقسم الطالعين . فيجلس الطالعون على حجارة او يتربّعون على الارض الّا واحداً منهم يدعى الحامي فيجدّ في اثر الطالعين ويطاردهم ويحاول ان يأسر ولو واحداً منهم فان امكنهُ ذلك ربح . امّا الطالعون فيهجمون حيناً بعد حين على فرقة النازلين الجالسين على الارض فيضربونهم ولا حقّ لهؤلاء ان يدافعوا عن انفسهم الّا انهم يصرخون : « دَلك دَلك » استغاثةً بالحامي لكي يُسرع فيمسكهم ان امكنهُ . وفي بعض الاحيان يغيّر الطالعون « حُلاّسهم » اي زيّهم لئلا يعرفهم النازلون فمنهم من يسوّد وجههُ بالسناج (الشحّار) ومنهم من يقلب ثيابهُ او يلبس قبعة رفاقهِ الى غير ذلك ممّا يحجبهم عن نظر النازلين . وعلى الحامي ان يعرف احداً منهم فاذا عرفهم عُدّوا من الخاسرين . امّا

الدلك الصغير فلا يغيّر الاولاد فيه ازياءهم وانَّما يكتفون بان يهجموا على النازلين فيضربونهم الى ان يمسكهم المدافع

٩ (العصا والعصيّة) يجتمع زمرة من الاولاد في هذا اللعب ويصفُّون عصيّهم على الارض بحيث تبعد الواحدة عن الاخرى قليلاً فيجعل اللاعب يحجل (يحاجج) اي يقفز على رجل واحدة فوق العصي المذكورة دون ان يمسّها. فاذا انتهى الى آخرها عاد فطفر حاجلاً بين كل صفَّين من العصيّ فان لم تعثر رجلهُ بواحدةٍ منها ثمَّ قفز آخرًا فوقها جميعًا كان الظافر. وان عثر قُضي عليه ان يركز عصاهُ في الارض فيصوّب رفاقهُ عصيّهم اليها ويرشقونها رشق السهام فينكّصونها وربَّما يكسرونها. ولكلٍّ منهم حقٌّ بان يجرّد عصاهُ الى عصا المغلوب على عدد الدورات التي لم يدُرها الخاسر حاجلاً

١٠ (البِركة) هي احدى الألعاب التي يلتذُّ بها الصبيان في لبنان فيكثرون منها. واوَّل ما يصنعون انهم ينقسمون رهطين رهط نازل ورهط طالع. فالنازل يدافع عن «البركة» أي حجرٌ يجلس عليه احدهم فيجتهد رهط آخر يدعى طالعًا ان يصل الى الجالس ويلطمهُ ويتسأَلك على الحجر فاذا تمكَّن احدهم منهُ كان الغالب هو ورهطهُ. ويجري بين الرهطين هجوم ودفاع يؤسر من الفريقين قوم حتى يفوز احدهم بالبركة. امَّا كيف يؤسر الرهط النازل فبأن يمرَّ احد الطالعين بينهُ وبين البركة. واذا مرَّ بين اثنين او اكثر من النازلين عُدَّ الذين عن يمينه أسرى فيكفُّون عن اللعب. اما الطالعون فإسرهم بان يصفعهم احد النازلين قبل ان يمسُّوا البركة او يجتازوا بين اثنين منهم. ولا يزالون على هذا المنوال حتى يفوز الطالعون بالبركة او يؤسَروا جميعًا فتكون الدولة عليهم

١١ (مقرعة الميدان) طريقتها بان يجتمع الاولاد وينقسموا الى عصابتين. ثم يجعلوا بينهما عصًا يغرزونها في الارض وعلى رأسها خرقة او قبعة (طربوش). فيتقدَّم ولد من احد الفريقين وبيده مقرعة فيقول للفريق الآخر: من لها؟ اي مَن منكم يُقدم الى العصا ويأخذ القبعة التي فوقها ويعود سالمًا الى رهطه؟ فيجيب احدهم انا ويسرع الى العصا المركوزة فينتزع عنها القبعة ويجدُّ في ان يرجع الى قومه قبل ان يصفعهُ صاحب المقرعة فان نجا منهُ كان فائزًا والَّا تحمَّل ألم الصفع الى ان ينضمَّ الى رهطه. ثمَّ يأتي ثانٍ من فرقته ويعرض على آخر من فرقة الاخصام ان ينزع القبعة فيفعل كما فعل الاول وهلمَّ جرًّا حتى ينتهي عدد اللاعبين (ستأتي البقيّة)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

١٣

ان معرفة الجميل من اجلّ الفضائل واحلاها والواجب ان تكون منزّهة عن شين المنفعة غير ان الأثرة كثيرًا ما تفسد هذه الفضيلة المحبوبة من اعمال المحاسن البشريّة في القلب

ولا ريب ان معرفة الناس امر متعسّر لا بل متعذّر في ايام الرخاء وامتداد بساط الهناء. فاذا اتاك الحظ ورفعك الى الدرجات العالية فلا تنتظر من اكفائك غير المبادرة لقضاء رغائبك والاستعداد للعمل باشارتك. فهل تعدّهم في هذا الحال اصدقاء لك وهل تستطيع اعتمادًا على بقاء ولائهم راسخ الاركان وهل يمكنك ان تنتظر منهم معرفة الجميل. كلّا ثم كلّا لانهُ اذا غفلت عنك السعادة يومًا واشتغل عنك الحظ بغيرك لا ترى من هؤلاء الناس الذين كنت تحسبهم اولياء غير إعراض وصدّ ولو كنت قد اغرقتهم في بحر فواضلك او تعرَّضت للاخطار حبًّا بهم وما ذلك الّا لأنهم ما عادوا يرجون منك خيرًا كما انك ما عدت اهلًا لتملقاتهم واساليب خداعهم. وبناء عليهِ فهم يتركونك حاملين بخورهم الى اشخاص آخرين

غير ان عبد الله الراعي الذي مرَّت عليك حكايتهُ لم يكن من هذا الصنف من الناس فانهُ حالما درى بسجن الاب يوحنا في قصر القليعات طفق يأتي كل صباح فيجلس قريبًا من باب القصر متجسّسًا الاخبار عن المحبوس الكريم الذي احسن اليهِ وبالرغم عن الاهانات والشتائم التي يسمعها من الحراس لم يكن يملّ من الوقوف عند الباب محمولًا على هذا كله بعاطفة معرفة الجميل

غير ان احد الحراس شفق عليهِ يومًا وقال لهُ: انك تضيع وقتك ايها المسكين عبثًا لان الاب يوحنا ليس هنا

— بحياة ابيك لا تغشني بل قل لي الحقيقة بتمامها

— الامر كما قلت لك بالتمام لان الاب يوحنا ترك القليعات من ايام عديدة

— واين هو الآن ؟

— كناك سؤلًا فقد اخبرتك بما فوق اللازم. ثم اغلق البـاب في وجه الراعي المسكين وهو يقول: اوشك هذا الفلاح الغليظ ان يعرّضني للخطر ولكن من حسن الحظ انهُ لم يسمعني احد

فلما علم عبد الله ان المحسن اليـه خرج من القفر رأى من الواجب عليهِ ان يهتمّ بنجاته من ايدي مضطهديهِ لاعتقادهِ ان كلّ ما اصاب الاب يوحنا من سخط جوسلين كان بسبب انتصاره لهُ ودفاعه عن حقوقه. فعقد العزم لأدراك غايته على خطة صعبة المراس وعرة الملتمس تحول دون البلوغ اليها عوائق واخطار. واســل الراعي المسكين لم يفطن لشيء من ذلك او انهُ فطن ولم يشأ ان يرجع عن مطلبه لانهُ كان يرى اعزّ شيء لديه السعي في خلاص ذاك الرجل البار الذي اصطنع اليهِ

وكان بعد مدّة أن انتشر الخبر بين اهالي الناحية بان الاب يوحنا نُقل الى الجانب الثاني من الجبل في جهة مدينة حماة ولم يكن يشقّ على عبد الله ان يشخص الى حماة او الى ابعد منها اذا اقتضت الحاجة غير انهُ لم يكن يعرف المدينة الذكورة بل غاية ما كان يعلم لمّا كان في قرية مريين يرعى المواشي عند احد كبار المشايخ النصيريّة ان هذه المدينة هي على مسيرة يوم من القرية المذكورة

فاذ ذاك حمل عصاه وتناول زوادة من الخبز الرقوق ولفّها بمنديل وتزنّر به ثم ودّع امرأته وسار على بركة الله ينشد مطلبه. وكانت امرأته عالمةً بمراده فلم تتعرَّض لهُ وكيف تصدّه وما كان لها ان تنسى أنّها لولا وساطة الاب يوحنا لما نجت من مخالب جوسلين الرجل الشرس

وقد عرّج عبد الله في سفره على قرى عين الشمس والسنديانة وعين الحلاقين وشيبة وفندارة وكان في كل منها يبحث عن الاب يوحنا بحثًا دقيقًا فكان الكل يجاوبونه بانهم لم يروا لهُ وجهًا. وعلى فرض انهم شاهدوه ما كان احد ليتجرأ على إخباره مخافة ان يعرّض نفسه لسخط جوسلين وعقابه

ولما كان سائرًا في الغـابة المتسعة الكائنة بين قريتي بيت الشمس والسنديانة نجا دون ان يعلم من خطر عظيم. فان الغابة المذكورة كانت في القديم كما هي في ايامنا الحاضرة ملجأً للصوص وقطـاع الطرق. فبينا هو يمشي في شِعْب ضيّق مترنمًا بانشودة

تعلّمها قبلًا من الرعاة النصيريّة دون ان يعرف شيئًا من معناها وهي :

يا خليليَّ إن تكون عليلا ظامئَ القلب والفؤاد غليلا
اشرب الخمر انَّ فيها شفاء حيث كان مزاجها زنجبيلا
واذا ما شربتها وهي صرفٌ كل داء يعود عنك رحيلا
انّها في كؤوسها تتلالا في الدياجي تعدّها قنديلا
ان موسى الكليم لمّا رآها في دجا اللّيل والركام هطيلا
قال انّي آنستُ جذوة نار جانب الطور في ضياء شعيلا
ايها العاذل البليد فكفَّ اللوم عني وأمهلني قليلا
ما ترى الكاس كيف يجلى بجنح م الليل بين الندمان بالترسيلا(١

وكان وراء الاشجار التي على حاشية الطريق نصيريّان من قطاع السبيل يرقبان كل حركة وايديهما على مقابض سيوفهما فلما شاهدا عبد الله قال احدهما لرفيقه :

— ها قد اتانا الصيد

— فقال الآخر انهُ لصيد سخيف لا يستحق ان نبلّ ايدينا بدمه. ولو لم يكن كيسهُ فارغًا لما كنت تراهُ يمشي بطيئًا فرحًا فهو بلا ريب نصراني من رعاة الماشية في هذا الجوار لا يجدينا سلبهُ نفعًا

— هبْ انهُ كما تقول. فبودّي لو انحرهُ نحرًا مجازاة لهُ على قلة حظنا في هذا اليوم. آه يالهُ يومًا مشؤومًا لم أرَ انحس منهُ قرُب الظهر ولم يمرَّ في هذا الطريق احد من المسافرين

— ألا تعلم ان هذا اللعين جوسلين مذ حبس الاب يوحنا ذعل الزوّار طريق حصن سليمان. فاذا كنت تريد ان تشفي غليلك من احد فاشفهِ من جوسلين. ولكن. . أنصت . . .

— ها أنا منصت . . . انهُ يغنّي

— الا تسمع كلامهُ ? اليس هو من شعر مولانا الشيخ الخصيبي او الشيخ صادم ?

— اي والله الحق معك هو أخ لنا. . . . . . ! وحسنًا فعلتَ بتوقيفي عن إغماد السيف في قلبه ولولا ذلك لكنت قتلتُ ابن ديني وارتكبت الحارم .

ثم ان اللصين خرجا من وراء الاشجار فحياهما عبد الله فردًا عليهِ التحيّة وسألاهُ

١) الباكورة السليمانية (ص ٧٠)

عن المكان الذي يقصدهُ قال : قرية مريين لمشاهدة الشيخ خضر

– اذًا تذهب الى العيد ؟

– دون ريب . قال هذا ولم يعلم اي شيء هو العيد المحكي عنهُ ولكن سترى انهُ سيعلمهُ عن قريب

وفي مساء النهار وصل الى بعرين (١ وهي مدينة صغيرة واقعة في منحدر رابية وفي اعلاها قلعة ضخمة من بناء الصليبيين وفي اسفل القلعة اقبية كثيرة كانت مخصصة بالسجون فدخلها محتجًا بزيارة احد معارفه وبعد ان جال في كل انحائها خرج متأكدًا ان الاب يوحنا غير محبوس فيها . غير انهُ لم يقنط بل استأنف السير قاصدًا مريين من امهات قرى النصيرية

١٤

فبعد نزوله من جبل بعرين وصل الى السهل الكائنة فيهِ قرية رافنية التي كانت في ايام الرومانيين بلدة مزهرة ناجحة غير انها اليوم خراب يباب لا يأويها سوى البوم . وفي جنوبها الغربي سلسلة جبال معتدلة الارتفاع ليس فيها نبتة خضراء يستريح البصر اليها ووراءها قرية الطاعونة يأهلها قوم من الفقراء المناكيد وعندها يتحدد السهل . وكان في تلك الايام قفرًا صامتًا لا يُسمع فيهِ صوت ولا فيهِ ديّار لانَّ ايام الحصاد كانت قد انتهت

والواقف في اول السهل يشاهد من بعيد صفًا من الروابي وهو جبل اللكام ثمَّ صفًا آخر اقلّ ارتفاعًا يدعى جبل الحلو وفي سفحهِ خضرة نضرة تعارض بمنظرها قحولة السهل وتلتذ العين بمشاهدتها وهي غوطة مريين التي تُعدّ من اقدم المدن السوريَّة وقد ردَّد التاريخ ذكرها في القرن الرابع عشر قبل المسيح(٢ . امَّا الآن فصارت مركزًا للزراعة لا يخلو من بعض الاهميَّة

وقد وصل اليهِ عبد الله الراعي عند مغيب الشمس ولم يكن في ملابسهِ ولا في منطقهِ شيء يفرقهُ عن النصيريَّة فانهُ لكثرة تردُّدهِ عليهم كان قد تعلَّم لهجتهم وصار يستعمل كل اصطلاحاتهم ويقول مثلهم في كل امر « اي والله ولا والله » . وكثيرًا ما قبل التوبيخات والقوانين الصارمة على هذا القسَم الباطل من معرفهِ الاب جومانوس

١) ياقوت والمقريزي الخ . ٢) الكتابات المصرية القديمة , دوشو : رحلة سورية الخ

الساكن في حصن سليمان. وكان يتلقى ذلك كلهُ بخضوع واخبات غير ان العادة السيئة قد تغلبت عليهِ فصارت فيهِ كطبيعة ثانية بحيث انهُ ما اجتمع مرة مع الرعاة النصيرية الّا اقبل على الحلف نظيرهم وقد اتصل ايضاً الى معرفة العلامات التي يتعارف بها اهل هذه الشيعة

فلمّا وصل عبد الله في مدخل القرية لاقى ولداً صغيراً فسألهُ عن الشيخ خضر مولاه السابق فاجابهُ انّ الشيخ قد خرج من منزلهِ للاحتفاء بالعيد

الّا انّ الراعي لم يحترز من هذه الكلمة الاخيرة وظنّ انها تعني احتفالًا اعتياديًا كعرس او نحوه فمن ثمّ شكر الولد النصيري وسار الى الجهة التي دلّهُ عليها

وكان قد دخل الليل وتنشر واعتكرت الظلمة فضلّ الراعي في طرق القرية وكثيرًا ما زلّت قدمهُ في الوحول واوشك ان يقع في المياه الجارية على جوانب السبيل او في وسطه. وتعذّر عليهِ الاستعلام عن مقام الشيخ لان كل البيوت التي مرَّ عليها كانت موصدة لا يظهر فيها نور قنديل حتى يتخيّل من يراها انها مقفرة لا ساكن فيها فاخذهُ العجب من هذا السكوت الغير المألوف في مثل تلك الساعة الغير المتقدمة من الليل وانتهى بهِ السير اخيرًا الى الطرف الجنوبي من البلدة. وبينما هو يهمّ بان يعود على اعقابهِ راجعًا اذ لمح بيتًا منيرًا كان قد فُتح بابهُ في تلك الساعة لدخول بعض الواردين اليهِ

فقال عبد الله في نفسهِ: قد نجوت والحمد لله من المصاعب فهذا هو «المنزول» دون ريب ابيت فيهِ الليلة وغدًا اسعى في مشاهدة الشيخ خضر. ثم انهُ تقدّم الى ناحية البيت المذكور فلمّا وصل قريبًا من الباب تصدى لهُ رجلان من الاشداء منعهُ الظلام عن مشاهدتهما والقى عليهِ احدهما المسائل الآتية:

— شاش عنك كم دور ؟

اما عبد الله فبهت من السؤال المذكور ولكنهُ ما لبث ان عاد اليهِ الانتباه وفطن انهُ تائه وانّ البيت الذي توهمهُ « منزولًا » هو الخلوة التي يعقد فيها النصيرية اجتماعاتهم السرّية وان العيد الذي ظنهُ عرسًا هو عبارة عن احتفال ديني فتجلّد وعلم انهُ اذا اظهر عدم معرفة فهو مقتول لا محالة لانّ النصيرية كما هو معروف لا يشفقون على كل

غريب عنهم يحاول كشف اسرار ديانتهم ولذلك تظاهر بكونه نصيرياً واجاب على السؤال بقوله :

— ستة عشر دوراً

فقال النصيري: ان عطش عمك فمن اين تسقيه ؟

— من عين الملوية

— ان ضاع عمك فاين تلاقيه ؟

— بالنسبة

— اربعة واربعين وثلاثة واثنين وقدرهم مرتين في دينك اين ؟

— بالمسافرة (١

ودامت هذه المحاورة بين الاثنين نحواً من ثلاث دقائق. غير ان عبد الله لما كان قد اظهر في بادئ الامر تردداً رأى الثاني من البوابين الذي كان ساكتاً ان الامتحان غير كافٍ فمن ثمَّ القى على عبد الله مسائل أخرى وهي:

لي قريب فهل تعرفهُ ؟

— ما اسمهُ ؟

— اسمهُ الحسين

— هو ابن حمدان بلا ريب

— بل هو الشيخ الخصيبي

ومن حسن حظ عبد الله ان السائل وقف عند هذا الحد ولو انهُ اطال السؤال لانكشف الامر وقُتل الراعي المسكين لا محالة ولذلك سُرّي عنهُ ما اعتراهُ من الغم عند ما اذن لهُ بالدخول قائلاً ادخل الآن ايها الاخ باسم « عين ميم سين » فانهُ ما جئ احد غيرك لاجل الشروع في العيد

وكان عبد الله يعرف ان « عين ميم سين » هي الحروف الابتدائية من اسماء الاقانيم الثلاثة التي يتألف منها ثالوث النصيرية (٢. وهب انهُ يجهلها لم يكن ليجترئ في ذلك الظرف الحرج على الاستفهام عنها. غير انهُ كان يسأل نفسهُ كيف تكون خاتمة هذا الحادث معهُ

---

١) الباكورة السليمانية ودوسو تاريخ وديانة النصيرية ٢) الباكورة

وفي الوقت نفسهِ فُتح الباب السري ودخل عبد الله الى قاعة فسيحة منارة بعدد من الشموع فرأى النصيريَّة قاعدين الحُبى (عاقدين اليدين فوق الركبتين) وكلهم سكوت وفي آخرهم كان قاعدًا ايضًا مثل قعودهم ثلاثة اشخاص مترشحون بملابس بيضاء من اقدامهم الى رؤوسهم. وكان هؤلاء الثلاثة لا يتميَّزون فقط بملابسهم بل ايضًا بضخامة عمائمهم البيضاء. بينما ان سائر الحاضرين كانوا جميعًا لابسين كوفيات وعاقدين فوقها العقالات

ونظر عبد الله في الثلاثة المذكورين فرأى ان اوسطهم هو الشيخ خضر الذي كان يقصدهُ فارتعد وارتجف. ثمَّ انَّ الشيخ المحكي عنهُ ارسل نظرة غضب على عبد الله فزاد عبد الله خوفًا وقال في نفسهِ: الليلة التي منيَّتي هنا. وكان كلما مرَّت دقيقة يتوقَّع ان ينقضَّ عليهِ النصيريَّة ويعاقبوهُ على جسارتهِ. غير انهُ رأى ان لا بدَّ من التجلد فجلس في أُخريات الناس وجعل يرقب بطرف عينهِ حركات الحاضرين ليعمل مثلها

(ستأتي البقية)

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت (تتمَّة)

١٢ (مطبعة جمعية الفنون) هذه اوَّل مطبعة اسلامية ظهرت في بيروت وكان متولي انشائها صاحب الفضل والهمَّة سعادتلو عبد القادر افندي قبَّاني في غرَّة ١٢٩٢هـ (١٨٧٤) وكان نال امتيازها باسم «مطبعة جمعيَّة الفنون» واستحضر ادوات الطباعة اولًا من لندرة. وفي ربيع الاول سنة ١٢٩٢ اصدر فيها جريدته «ثمرات الفنون» فيكون قد مرَّ عليها اليوم نيّف و٢٦ سنة في خدمة الوطن. وفي سنة ١٨٨٩ زاد عليها آلة يصحُّ تدويرها على البخار ابتاعها من الخواجا جرجي الفرزوزي. وقد طُبع في هذه المطبعة بعض تآليف نسرد اسماء ما نعرف منها على حسب تاريخها :

١ً كتاب الهجاء لتعليم الاطفال للسيد عبد القادر افندي قبّاني . (طُبع مرارًا ١٢٩٢ و١٢٩٧ الخ . ص ٦٤) = ٢ً كتاب المبادئ لتمرين الاطفال (طُبع مرارًا . طبعتهُ السابعة ١٣٠٦ . ص ١١٣ . الثالثة ١٣١٠ . ص ١٥٥) = ٣ً كشف الارب عن سرّ الادب . نظم الشيخ ابراهيم افندي الاحدب (١٢٩٣ . ص ٦٥) = ٤ً كتاب اطواق الذهب في المواعظ والخطب لجار الله الزمخشري مع شرحهِ للسيد الشيخ يوسف افندي الاسير (١٢٩٣ . ص ٧٢) = ٥ً ديوان الأُستي (١٢٩٤ . ص ٨٥) = ٦ً كتاب الوشي المرقوم في حلّ المنظوم لضياء الدين ابي الفتح ابن الاثير (١٢٩٨ . ص ١١٤) = ٧ً ابداع الابداء لفتح أبواب البناء للشيخ ابراهيم افندي الاحدب (١٢٩٩ . ص ١٢٥) – ٨ً ديوان ابن النبيه (١٢٩٩ . ص ٦٠) = ٩ً ديوان ابي نواس (١٣٠١ . ص ٥٢) = ١٠ً ديوان اشعار الحماسة (١٨٨٩ . ص ٢٥٠) = ١١ً رواية بريطانيكوس عرّبها جرجس افندي بلط (١٨٨٩ . ص ٦٦) . الى غير ذلك من الكتب العلميّة والاداريّة والقوانين والمقامات

وهذه المطبعة صارت اليوم الى يد يوسف صادر ودخلت في جملة ادوات مطبعتهِ المعروفة بالعلميّة التي مرَّ ذكرها

١٣ (مطبعة بيروت) انشأها سنة ١٨٨٥ جناب الاديب الهمام عزتلو محمّد رشيد افندي الدنا . وابتاع ادواتها من مطبعتنا الكاثوليكيّة . وفي آذار من سنة ١٨٨٦ اصدر جريدة « بيروت » وكانت تبرز مرّتين في الاسبوع يوم الاثنين والاربعاء . وهي الان تصدر مرّة واحدة يوم الاثنين يحررها سليم افندي عبّاس الشلفون . ثمّ اقتنى صاحب هذه المطبعة مسكبًا للحروف الاسلمبولية وقد نشر بعض الكتب المفيدة هذه اسماء ما وقفنا عليه منها حسب تاريخ نشرها :

١ً مختصر في الجغرافية لفضل الله فارس ابي حلقة (١٣٠٦–١٨٩٠ . ص ٢٢٦) = ٢ً هداية السائل الى انشاء الرسائل للسيد عبد الباسط افندي الانسي (١٣٠٦ . ص ٢٠٨) = ٣ً الاجوبة الجليّة في الاصول الصرفيّة لمحمد بك ناحوق (طبعة ثانية ١٨٩١ . ص ٩٦) = ٤ً ديوان ناصح الدين الارّجاني صحّحهُ ونشرهُ الفاضل احمد بن عبّاس الازهري (١٣٠٧ . ص ٤٥٢) = ٥ً كلمات في علم الروايات لحكمت شريف = ٦ً تاريخ دولتلو جودت باشا . مترجم عن التركيّة (المجلّد الاول ١٣٠٨ . ص ١٤ + ٤١٢) = ٧ً هداية الامم وينبوع الآداب والحكم لعزتلو عبد الرحمان ناجم افندي (١٣٠٨ . ص ٧ + ٥٨٤) = ٨ً بغية المشتاق لتهذيب الاخلاق لعثمان بن احمد العُسيلي (ص ٣٢) = ٩ً كتاب البسط الوافر في حساب التاجر للسيد عبد الباسط افندي الانسي (١٣٠٨ و ١٣١٠ . ص ٨ + ١٤٠) = ١٠ً البديعية المسمّاة ترجمان الضمير للحاج عبد القادر افندي الحسني (١٣٠٩ . ص ١٩) = ١١ً ديوان خطب ابن نباتة مع شرحهِ للشيخ طاهر افندي الجزائري (١٣١١ . ص ٨ + ٥٢٨)

١٤ (مطبعة الولاية الرسميَّة) كان انشاء هذه المطبعة بعد مطبعة بيروت بزمن قليل في اواخر سنة ١٨٨٥ . واصل ادواتها من باريس . امَّا احرفها فنها قسم صُبَّ في مسكبنا وقسمٌ آخر استجلبتهُ الولاية الفخيمة من الاستانة والنقوش وخلافها من المانيا . وفي هذه المطبعة تُنشر جريدة « بيروت الرسميَّة » كان اول ظهورها سنة ١٨٨٨ وهي قسمان قسمٌ تركي وقسمٌ عربي . وفي هذه المطبعة تُطبع اوراق النظامات والشروط والامتيازات ودفاتر الحكومة والاوراق الرسمية الى غير ذلك كاوراق التجارة وما شاكلها

١٥ (مطبعة الآداب) مرَّ على هذه المطبعة عشر سنوات بنيف . انشأها سنة ١٨٩٠ الاخوان الاديبان امين افندي الخوري وشقيقهُ خليل افندي صاحب المكتبة الجامعة . اشتريا ادوات المطبعة اللبنانية لجرجي افندي الفرزوزي مع حروفها سنة ١٨٨٩ واضافا اليها آلة مطبعة المعارف التي يمكن تحريكها بالبخار وآلة ثانية باريسيَّة كثيرة السرعة للاشغال التجاريَّة . واتسع نطاق هذه المطبعة حتى بلغ مدَّةً عددُ عملتها ٢٧ عاملاً وفيها طُبعت اوَّلًا جريدة الاحوال (١٨٩١ — ١٨٩٣) وكانت تصدر مرَّتين في الاسبوع ثمَّ صارت يوميَّة كما سيأتي في ذكر مطبعة الفوائد . امَّا احرفها فمن مسكب المطبعة الادبية لخليل افندي سركيس . وفي سنة ١٨٩٨ قُسمت المطبعة قسمين نقل احدهما الى الاسكندرية وبقي الثاني في بيروت . وكلاهما تُعرف باسم مطبعة الآداب . وقد نُشرت في هذه المطبعة كتب عديدة اكثرها روايات وقصص نذكر منها ما نرى في ذكرهِ فائدة . وهي بنفقة صاحب المكتبة الجامعة وتُطلب منهُ :

١ً انشاء المكاتيب بالعربي لامين افندي الخوري (١٨٨٩ . طبعتهُ السادسة ١٨٩٨ . ص ١٩٢) = ٢ً مختصرهُ (ص ٦٤) = ٣ً المبتكر او انشاء المكاتيب فرنسويّ وعربي لهُ (١٨٨٩ . ص ٢٧٢) = ٤ً جامعة الآداب لهُ (١٨٨٩ . ص ٦٦) = ٥ً مبادئ القراءة الفرنسويَّة بصور لهُ (طبعتهُ الرابعة ١٨٩٧ . ص ٦٦ . وهو الان يُنقَّح في مطبعتنا) = ٥ً غيرهُ اوسع وأعلى طبقة ص (١٢٦) = ٦ً تلياك بالفرنسويّ مع قاموس صغير (ص ٢٣٠) = ٧ً مختصر الغراماطيق الفرنسوي للمعلم يوسف افندي حرفوش (طبعتهُ الثالثة ١٨٩٨ . ص ١٠٨) = ٨ً رياض الالباب في رياض الحساب لامين افندي الخوري (طبعتهُ الثالثة ١٨٩٣ . ص ٦٤) = ٩ً فردوس السرور لانشراح الصدور لهُ (اربعة اجزاء . ص ١٩٢) = ١٠ً الجامعة او دليل بيروت (١٨٨٨ — ١٨٩١ . طُبعت في المطبعة الادبية اولاً ثم في مطبعة الآداب) = ١١ً كتاب الاجرومية مع اعرابها (طبعة ثانية ١٨٩١ . ص ٦٦) = ١٢ً النفحة العطريَّة في حالتنا المليَّة لبشاره افندي زلزل (١٢٩١ . ص ٤٠) = ١٤ تعليم مبادئ القراءة (١٨٩٣ . ص ٣٢) = ١٥ً عشيَّة الاحد (١٨٩٣ . ص ٣٢) = ١٦ً كتاب

الزبور الالهي (ص ٢٥٦) = ١٧ً ديوان صفي الدين الحلي (١٨٩٢. ص ٥٢٨) = ١٨ً الدلالة في علم المنطق لاحمد الشبطلي البيروتي (١٣٠٧. ص ٣٦) = ١٩ً جلاء الناظر في شرح ديوان الفارض بقلم امين افندي الخوري طُبع في المطبعة الادبية ١٨٨٦ و ١٨٨٨. ثم في مطبعة الآداب (١٨٩٤. ص ٢٤٦) = ٢٠ً جامعة القوانين المدنية (١٨٨٩–١٨٩٣. ص نحو ١٠٠٠. يتضمن القانون الاساسي والمحاكات الجزائية وقانون الجزاء الهمايوني ونظام البوليس واصول المحاكات الحقوقية ونظام الاجراء وتعريفة الرسوم والسنة وقوانين التجارة والبلدية والابنية ونظام لبنان الخ وكل جزء يباع ايضاً على حدة) = ٢١ً قصة علي الزيبق (١٨٩٠–١٨٩٩. ص ٤٨٠) = ٢٢ كتاب سيرة بني هلال (١٨٩٤–١٩٠٠. اجزاؤها ٢١ وصفحاتها نحو ١٤٠٠) = ٢٣ً رحلة بني هلال (١٨٩٤–١٨٩٨. اجزاؤها ١٥. ص نحو ٨٠٠) = ٢٤ً سيرة عنتر بن شدّاد (ستة اجزاء ١٨٩٣–١٩٠١. ص نحو ٣٠٠٠) = ٢٤ً ديوان عنتر (طبعة الثالثة ١٨٩٨. ص ٩٦) = ٢٥ قصة الزير (١٨٩٤–١٨٩٨. ص ٢٧٢) = ٢٦ً ديوان الزير (ص ١٥٢) = ٢٧ً قصة مجنون ليلى (ص ٦٤) = ٢٨ً رفيق الشاني وهو قاموس تركي وفارسي وعربي (ص ٢٣٦) = ٢٩ كنز اللغة الشانية (١٨٩٧. ص ١٢٦) = ٣٠ً كتاب مطابقة امام لسفر التكوين للقس ميخائيل شحود الرومي الكاثوليكي (ص ١٢٤) = ٣١ً الظل الوارف في معرض العلوم والمعارف له (ص ٢٦٨) = ٣٢ً مختصر التعليم المسيحي (١٨٩٧. ص ٦٤) = ٣٣ً مختصر التعليم المسيحي للاباء اللعازريين (ص ١٦٠) = ٣٤ً كتاب مائة حكاية بالفرنسوي والعربي (ص ٨٢) = ٣٥ً المعاملات القانونية (ص ٦٤)

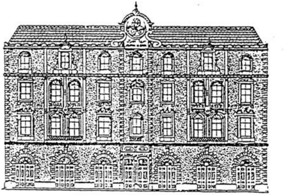
وقد ظهر في هذه المطبعة غير ذلك من رسالات علمية كرسالة في الاقتصاد لامين افندي الخوري ورسالة في الهواء الاصفر للدكتور ب. زُرل ورسالة في الفوطوغرافيا وطُرفة الطرف لخليل افندي زينيّة وروزنامة سنويّة ١٨٩٠–١٩٠١ مع روايات معرّبة عن الفرنسية كثيرة وبها والتي المهاجر للخوري ميخائيل دلّال وقصص عديدة يبلغ مجموعها نحو الثلاثين لا طائل في ذكرها

١٦ (مطبعة الفوائد) أسسها صاحبها الفاضل خليل افندي البدوي سنة ١٨٩١ نسبة للجريدة التي احرز امتيازها بهذا الاسم عام ١٨٩٠ وفيها تطبع جريدة الاحوال التي كانت منذ تشرين الاول سنة ١٨٩١ تصدر مرّتين في الاسبوع ثم صارت تصدر يومياً في عام ١٨٩٣ ولا تزال يوميّة حتى اليوم وهي اوّل جريدة يوميّة في سوريّة « بارادة سنية » ويصدر منها ايضاً عدد اسبوعي كبير يوم الاحد جامع لخلاصة اخبار الاحوال اليوميّة

ويُطبع فيها مجلة شهريّة اسمها الرئيس لصاحبها ومحرّر علميّاتها الدكتور لويس الخازن والاستاذ ابرهيم افندي الحوراني. وتصدر منها ايضاً نشرة سنويّة باسم يوميّة الاحوال مشتملة على زهاء اربعمائة صفحة توزّع هديّة في رأس السنة لجميع المشتركين.

وفيها محرّك غازي لتحريك آلاتها وهي اوّل مطبعة في سورية اقتنت محرّكًا بالغاز لترويج اشغالها وتطبع جميع انواع الكتب والاوراق التجارية باللغات العربية والتركية والفارسية واليونانية والفرنسوية وسائر اللغات الافرنجية. وهي تصب الحروف في مصبها الخاص منذ سنة ١٨٩٦

وفي العام الماضي انشأ صاحبها بناية فخيمة على شارع المرفإ الكبير ذات اربع طبقات بديعة الهندسة يقال انها كلفته نيفًا وستة آلاف ليرة اقام فيها المطبعة وادارة الجريدة وهذه صورة واجهتها الشرقية



Établissemants du journal ALAHWAL بناية جريدة الاحوال

امّا اخصّ المطبوعات التي نُشرت في هذه المطبعة فدونك اسماءها مسرودة على ترتيب السنين :

١ً رواية شيطان المال معرّبة بقلم خليل افندي البدوي (١٨٩١. ص ١٨٠) = ٢ً رواية الفتاة السيبرية تعريبهُ (١٨٩٢. ص٨٠) = ٣ً تاريخ بابل واشور تأليف جميل افندي نخله مدوّر (١٨٩٣. ص ١٢٨) = ٤ً رواية مرآة الشهامة تعريب امين افندي الحلبي (١٨٩٤. ص ١٨٤) = ٥ً رواية جزاء النادر ورواية النقيد الموجود تعريبهُ (١٨٩٥) = ٦ً رواية خطف الابنتين بقلم خليل افندي البدوي (١٨٩٦. ص ٢٣٤) = ٧ً الدرجات المدرسية في تعليم اللغة الفرنسوية لهُ (١٨٩٦. جزءان ص ١٠١و١٠٢) = ٨ً سبيل الصلاح للسيد الجليل جرمانوس معقّد مطران اللاذقية (١٨٩٦. ص١٠٣) = ٩ً لورد وفتاعا لسيادته (١٨٩٦. ص٩٦) = ١٠ً زاد العابد مشتمل على صلوات تقال في مدارس الساليان (١٨٩٦. ص ٩٥) = ١١ً الحق الوضاح

في الجواب على المصباح للسيد ثاوفيلوس انطون قندلفت (١٨٩٦. ص ٢١) = ١٢ رواية وردة الربيع بقلم خليل افندي البدوي (١٨٩٧. ص ٢٠٤) = ١٣ النبراس لسامع القداس بحسب الطقس اليوناني باللغتين العربية والفرنسوية لهُ (١٨٩٧. ص ٣٥٢) = ١٤ الاكلوجيوس مذيلاً بالتقويم الكنسي لمعرفة الاناجيل والرسائل والالحان (١٨٩٧. ص ٢٩٣) = ١٥ كتاب علم حفظ الصحّة مزيّن بصور تأليف الدكتور امين افندي الجميّل جزء اول (١٨٩٧. ص٢٨٤) = ١٦ سجلّات تدوين اسماء المتعمدين والمتزوجين والمتوفين ضبطاً للتواريخ وضع خليل افندي البدوي (١٨٩٧ كل سجل ص١٠٠) = ١٧ طريقة جديدة لتعليم مبادئ اللغة اليونانية لهُ (١٨٩٨. ص ٢٨) = ١٨ الشعاع الساطع في حرفة الزارع للقس بولس عازار الحلبي (١٨٩٨. ص٩٧) = ١٩ علاجي بالماء البارد للخوري سيباستيان كنيب معرَّب بقلم الخوري يوحنا الحائك (١٨٩٨. ص ٥٩٢) = ٢٠ شرح مختصر لخدمة القدّاس الالهي عن الروسية بقلم السيدة عفيفة متري عبده (١٨٩٨. ص٣٠) = ٢١ الدليل الى مرادف العامي والدخيل تأليف رشيد افندي عطية (١٨٩٩. ص٢٦٤) = ٢٢ نظامنامه مرفأ بيروت باللغتين الفرنسويَّة والعربية قطع كبير (١٨٩٩ ص١٩) = ٢٣ كراس عن الطاعون في جدة باللغة الفرنسوية تأليف الدكتور فريد بك ابرهيم احد اطباء الحجر الصحي في بيروت = ٢٤ التحفة الملية في التهاني البطريركية عني بجمعها قيصر افندي بوبز واسكندر افندي الخوري (١٨٩٩. ص٢٢٢) = ٢٥ البنديكتاريون يشتمل على ترتيب وطقوس الايام من احد الفصح الى احد جميع القديسين ترجمة جديدة عن الاصل اليوناني لخليل افندي البدوي قطع كبير (١٩٠٠. ص٣١٢) = ٢٦ رواية ابن الغريب لهُ (١٩٠٠ ص٣١٠) = ٢٧ سمت المراسلة تأليف المعلم فارس يمين انطون الشابي الماروني اللبناني (١٩٠٠ ص١٣٠) = ٢٨ نزهة الالباب في رياض الاداب بالشكل الكامل رتّبهُ وطبعهُ خليل افندي البدوي لاجل تقويم القراءة العربية في المدارس الابتدائية (١٩٠٠. ص ٢٠٨). وغير هذه عدَّة روايات ومناشير وكراريس ومطبوعات مختلفة اضربنا عن ذكرها

١٧ (المطبعة الانسية) تأسست في مدينة بيروت سنة ١٣١٢ هـ(١٨٩٥م). مؤسسها ومدير اشغالها عزتلو محمد سليم افندي الانسي صاحب جريدة "روضة المعارف" وهي تحتوي على مكبس كبير ومطبعة صغيرة لبطاقات الزيارة وغير ذلك. واستعملت من اول امرها الاحرف الاميركانية ثم استحضر مديرها الاديب من مدَّة اربع سنوات طاقين من الاحرف الاسلامبولية من معامل دار السعادة العلية ومن باريس الاحرف الافرنسية المختلفة والنقوش المتنوّعة. وطبعت هذه المطبعة على نفقتها عدَّة كتب تصوفية وادبية وقصص تاريخية ودواوين شعريَّة ولا زال مديرها مجدًّا على توسيع نطاقها وتنظيمها واستحضار آلة كبيرة تدور على البخار لرواج الاشغال وسرعة الاعمال

وهذه اسماء مطبوعاتها التي نشرتهُ على ذمَّتها المكتبة الانسيَّة المؤسَّسة سنة ١٣٠٨

١ البسط الوافر في حساب التاجر تأليف عبد الباسط افندي الانسي (طبعة ثانية ١٣١٠.

ص١٦١) = ٢ ً ديوان التلمفري المتوفى سنة ٦٧٥–١٢٧٧م (١٣١٠ . ص ٧٢) = ٣ ً ديوان ابن مليك الحموي المتوفى سنة ٩١٧–١٥١٢ م (١٣١٢ . ص ٢١٠) = ٤ ً ذخائر الاعلاق شرح ترجمان الاشواق لابن العربي المتوفَّى ٦٣٨–١٢٤١م (١٣١٢ . ص١٩٧) — ٥ ً كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام لابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧–١٤٢٢م (١٣١٢ . ص١٦٨) = ٦ ً ديوان كشاجم المتوفى سنة ٣٥٠–٩٦١م (١٣١٣ . ص ١٨٨) = ٧ ً ديوان النحاس الحلبي المتوفى سنة ١٠٥٢–١٦٤٠ م (١٣١٣ . ص ١١٢) =٨ ً ديوان المورد العـذب السيد عمر الانسي البيروتي المتوفَّى سنة ١٢٩٣–١٨٧٦م (١٣١٣ . ص٢٤٨) = ٩ ً اطواق الذهب للزمخشري (طبعة ثانية ١٣١٤ . ص ١١٢) = ١٠ ً تأسيس المباني في اللسان العثمانيّ (تركيّ وعربي) تأليف عبد الباسط افندي الانسي (طبعة ثانية ١٣١٥ . ص ٢٠٨) = ١١ ً هداية السائل الى انشاء الرسائل له (طبعة ثالثة ١٣١٥ . ص ٢٠٨) = ١٢ ً ديوان الشاعر المجيد مهيار الديلمي (الجزء الاول ١٣١٥ . ص ٢٥٢) = ١٣ ً ديوان ابن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى سنة ٤٦٦–١٠٧٤م (١٣١٦ . ص ١١٦) = ١٤ ً ديوان ابي المظفر محمد الاموي الابيوردي المتوفى سنة ٥٥٧–١١٦٢م (١٣١٧ . ص ٢٨٣) = ١٥ ً ديوان الامامين الوزري والطرائفي (طبعة ثانية ١٣١٧ . ص ٦٤) = ١٦ ً ابدع الاساليب في انشاء الرسائل والمكاتيب تأليف عبد الباسط افندي الانسي (١٣١٨ . ص ٥٥٠)

هذا آخر ما امكننا جمعهُ من تاريخ فن الطباعة في بيروت وقد يوجد ايضًا فيهـا بعض مطابع تختص بنشر الاوراق التجاريَّة كمطبعة الخواجا جرجي مكر يشتغل بهـا منذ نحو ١٥ سنة ومطبعة الخواجا عيد جدعون ظهرت منذ نحو ١٠ سنين . والمطبعة الكلية للخواجا ابرهيم الترسـاني وظهرت من نحو خمس سنوات . ومطبعـة الثبات للخواجا اسكندر الخوري وظهرت العام الماضي . وكان لبنكرتن الانكليزي مطبعـة ايضًا نشر فيها بعض كتب دينيَّة بروتستانية لا نرى فائدة في ذكرها لعدم رواجها

(ستأتي البقيَّة)

الصفا براكينهُ وكتاباتهُ

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

اذا ما تجاوز السائر الغوطة التي تاوح في خضرة حدائقهـا الغنَّاء دمشقُ الفيحاء كانها الدرة المكنونة في الزبرجد وصل بعد مرحلة يوم من جهة الجنوب الشرقي الى كورة غريبة المنظر تُدعى اللَّجا

واللجا عبارة عن مسطَّح مربَّع الشكل مستطيل تكسيرهُ عشرة اميال طولًا في

ستة عرضاً يعلو فوق البقاع المجاورة بعض امتار امّا اصل هذه الرُّبى فانما هي حُمم مصهورة قذفت بها براكين جبال حوران في سالف الاعصار. ونبات هذا الصقع قليل ليس فيه سوى ما يفي بقوت المواشي. ومن سبر غور هــذه التربة وجد سمك موادّها البركانية نحو ٢٠٠ متر تحتها الصلصال والموادّ الكلسية. وقد عملت في وجهها العوامل الجوية فنخرت صخورها وخدّت فيها الاخاديد وفتحت لنيرانها الباطنية فوهات تفجّرت منهـا الحمم وانبعثت الأبخرة. فمن سار في وسطها لا يرى الّا اللجج العميقة والوهاد الغامضة والفجاج الضيّقة تُشرف عليهـا التلال المتكوّنة من صُهارة البراكين ولهذه التلال مغاور عديدة وصياء رحبة تتخلّلها. ولكثرة مضايق هذه البـلاد ومخابئها اتخذها الناس منـــذ الزمن القديم ملاذاً كانوا يلتجئون اليه من شرّ اعدائهم ولذلك دعوها « اللجا ». ولمّا قدم قبل ستين سنة ابرهيم باشا بعساكره الى الشام فتح منهـا ما فتح عاد منكوصاً خائباً لما لقيهُ من المقاومة بازاء هذا الحصن الطبيعي

هذا وان بين تلال اللجا وصخوره فُروجاً فسيحة قد بُنيت فيها القرى وغُرست المزارع والبقول ينال منها سكّان تلك النواحي بُلغة عيشهم

فاللجا كما ترى لا يعدم ما هو ضروري لقوام الحياة وان كان عيش الاهلين ليس برَغد منعَّم. ولكن ان سرت ميمّماً شرقيّ اللجا دائراً حول جبل حوران او جبل الدروز بلغت بعد قليل صقعاً لا يجد فيه الانس شيئاً يُسكنون به رمقهم لجدبه وهو القطر المعروف « بدائرة التلول » او « تلول الصفا » وربّما دُعي « الصفا » اقتصاراً. وهو عبارة عن عدد لا يحصى من التلال القليلة الارتفاع وكلها كأرض اللجا المتكوّنة من الحمم البركانية واذا قابل الناظر بين الكورتين تخيّل ان تلال الصفا حديثة الانفجار بالنسبة الى اللجا كأنّ الموادّ الناريّة والأبخرة الغـازيّة لم تُثمر باعوالها الّا منذ عهد قريب فاستحقّت اسمها الاعجمي المنذر بالويلات ودُعيت « طراخون » (Trachone) اي الارض المستوحشة. وهو الاسم الذي عُرف به اللجا وجبل حوران عند الاقدمين (راجع انجيل مار لوقا ٣ : ١). ومساحة « الدائرة » المذكورة نحو ١٢٠٠ كيلومتر مربع تنتصب تلالها المخروطة بنحو ٣٠٠ الى ٤٠٠ متر فوق بسيط الاصقاع المجاورة التي يبلغ معدّل ارتفاعها ٥٠٠ متر فوق سطح البحر

وحجارة الصفا سوداء مستديرة الشكل تلمع كالمعدن الذائب. ومن عاين فوّهات

براكينهِ يخال لهُ انها تقذف حتى الان سيولًا من المواد المصهورة. واذا عبر الراحل من تل الى آخر على قناطر تجمع بينهما ظنَّ انَّ انهارًا من النيران المتقدة تسيل من تحتهِ. ومُجمل القول ان منظر هذه البلاد مريع يحسب زائرها انَّ نيرانها لم تُطفأ بعد

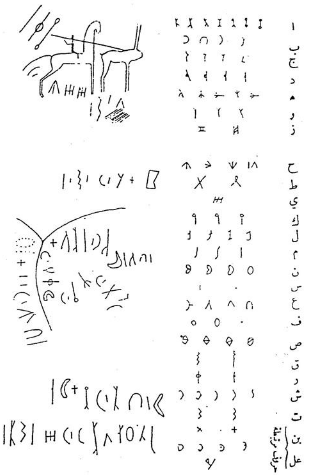
والصفا قسمان قسم شمالي يدعى « الضرس » وقسم جنوبي خُصَّ باسم الصفا. ومن اتى الصفا من الجنوب الشرقي يجتاز وسط معامة كثيرة البقايا البركانية تدعى « الخشنة » مساحتها عدة كيلومترات. وفي شمالي قسم الصفا الجنوبي جبل يدعى « ابا غانم » لهُ قنن مسنَّنة من الحمم تشبه نديف القطن كانها لهيب النار يميل بها الريح. وفي وسط الصفا جبل آخر اسمهُ زُنيتها او صُنيتها وهو ايضًا بركان قديم خرب قسم من جوانبهِ الخارجة فلم يبقَ منهُ الَّا مدخنتهُ تسندها بعض السواري المشرفة على هوَّة عميقة. وعلى وجهه ترى صفائح من الزجاج وتضاريس من الحمم تنتصب قنزعية باطرافها المروَّسة. وبين الجبلين المذكورين اعني ابا غانم وزنيتها تلَّان آخران مخروطا الشكل يدعيان مَراقي ورواسط

ومن غريب الامور انَّ اغلب فوهات الصفا البركانية لا تنفتح عند قنتها بل على جوانبها في سمك التلال. فترى من ثمَّ اغوارًا مستديرة الشكل عرضها نحو ٣٠٠ متر في عمق ٢٠ الى ٥٠ مترًا. وبعضها تراها في عزلة عن اخواتها وبعضها متصلة لا يفصل بينها الَّا جدران رقيقة من الزجاج الاحمر او الاسود الضارب الى الحمرة. وفي بعض المحال ترى الحمم اخاديد متوازية طولها بضع مئات من الامتار

وان سأل سائل وهل للحياة من اثر في هذه الانحاء. قلنا انَّ هذه الارض الجاحدة لا تنبت الَّا صنفًا من النبق الرمادي اللون تراه يلتصق بالحجارة السوداء وتحسبهُ عن بعدٍ انهُ منها

الَّا ان في شمالي غربي هذه القاطعة وفي جنوبها الشرقي ترى بعض التلال تنفرج تنبسط في خلالها بطاح يبذر فيها الاعراب بعض البذور. وقد عملت ايضًا عوامل الطبيعة في هذه الصخور والتلال فتفتَّت منها جانب بقوَّة الامطار والرياح فسالت دقائقها الى البطائح المنخفضة والقيعان. والمياه تتجمَّع في هذا الوطإ فيخصب المكان ويصير منتجعًا للمواشي حتى في ابَّان القيظ. امَّا في غير هذه البطائح فتنضب المياه بين مسام الصخور البركانية حتى تبلغ طبقة الصلصال الذي عمل فيه عامل النار فحولهُ الى موادَّ متبلورة. وليس مسيل ماء الَّا في منعطف الجبل الواقع في شمالي غربي الدائرة في القسم المعروف

حروف الهجاء العربية	حروف لغة بلاد الصفا القديمة	امثلة لكتابات الصفا



بالضرس. فانَّ هناك تارًا طبيعيًا وسَّعتهُ يد الانسان يخرج منهُ جدول ماء يقصدهُ اهل البادية وهم يدعونهُ عين امّ النيران

وكذلك ترى في رَدهات الصخور الطبيعيَّة التي سبق ذكرها لاسيَّما في جبل سَيس وقائع اي نُقَرًا يجتمع فيهـا الماء في السنين الكثيرة المطر ويتكوَّن منهُ احواض او بُحيرات تدوم اشهرًا وتسقي الوديان فتنعشها وتزكي نباتها وتنوّرها بالزهور والى هذه الغدران تتقاطر طيور الماء.

واكبر هذه الاحواض اسمُ الرُحبة وهو كواش يمتدّ في وسط تلك البلاد المقفرة على مسافة ٢٤ كيلومترًا طولًا في ١٥ عرضًا تجري اليـه السيول من الرُبى المجاورة. ولهُ منظر تقرّ لهُ العين لاسيَّما اذا قابلتَ بين ربعه والقفر المجدب الذي يكتنفهُ. واهل البدو يزرعون في الرحبة الذرة والشعير والحنطة فتغـلّ لهم الغلال الكثيرة في الواحد مئة او ١٢٠. وكان الرومان يعرفون هذه الاماكن الخصبة فاقاموا بقربها قصورًا او حصونًا لردّ غزوات العرب. ومن زار تلك البلاد وجد اخربة هذه البنايات مع عدَّة كتابات نقشها عليها الجنود الرابطون فيها او الاهلون الذين لاذوا بجاهم كما سترى (١

٢

ولكن اذا كانت بلاد الصفا غريبة في تركيبها الجيولوجي يقصدها لذلك السُّيَّاح فانَّها ليست باقلّ شأنًا من قبيل المعارف اللغويَّة. وذلك انك ترى في عدد لا يُحصى من الصخور البركانيَّة كتابات خُطَّت بقلم مجهول طالما حاول كشف مكنونه العلماء الى ان توصَّل العلامة يوسف اللاوي (J. Halévy) الى قراءة حروف هجائه منذ نحو عشرين سنة. ولكنَّ مساعية الحسنة لم تفِ بمرام المرغوب فلذلك باشر في ربيع سنة ١٨٩٩ عالمان فرنسويَّان فاضـلان رحلة جديدة لفحص تلك الكتابات. فكانت نتيجـة سفرهما تأليف كتاب نفيس برز آخرًا الى عالم الوجود فدوَّنا فيه ما تيسرت لهما معرفتهُ (٢

---

١) قد نقلنا وصف بلاد الصفا عن كتابنا المخطوط في جغرافية سورية. واستعنَّا بكتاب المسيو دوسو الوارد ذكرهُ كما اننا راجعنا ما كتبهُ البارون فون اوپنهيم (ج ١ ص ٢١٢–٢٥٢) في رحلته التي عرَّفنها المشرق (٣: ٧١٦) ومقالة الدكتور ستوبل (Stübel) في المجلة ZDPV, XII, p. 255

٢) وهذا اسم الكتاب Voyage archéologique au Ṣafâ et dans le Djabel ed-Drûz par R. Dussaud et Fr. Macler, *Paris* 1901 pp. 227 avec pl. XVI et une carte

اما موضوع هذه الكتابات فهو يختلف الَّا انَّ الغالب عليها اسماء اعلام: « فلان ابن فلان ». يتقدَّمها اسم راقم الكتابة « لفلان ». وكثير من هذه الاعلام هي اسماء آلهة قديمة اشهرها الاله « ايل » ثم الاله « سين » وغير اسماء لم يتحقق العلماء صحَّتها حتى الآن

اما حروف لغة الصفا فانَّ اشكالها متوسطة بين لغتي الفينيقيين والحميريين. وخطوط هذه الكتابات غير متقنة تبتدئ سطورها من اليمين الى الشمال ثمَّ تعود من الشمال الى اليمين كانَّ اصحابها لم يتبعوا في ذلك قانونًا او ارادوا مراعاة تقاطيع الصخور. ومنها ما يصحبهُ تصاوير غريبة في غاية البساطة تمثل فرسانًا برماحهم او ابلًا وغير ذلك (راجع الصفحة ٣٢٨)

وما يحقّ لهُ الاسف انك لا تجد تاريخًا لهذه الآثار وانما يُعلم من شأنها انها لم تسبق اوائل القرن الثاني للمسيح والارجح انها خُطَّت في اواسط هذا القرن. ولا يجوز تأخيرها الى ما بعد القرن الرابع لانَّ النصرانيَّة وتنذر كانت انتشرت في بلاد الصفا ولا تجد في هذه الخطوط شيئًا يُشعر بدين المسيح. فالعلماء يتردَّدون اذن في تعريف زمنها بين القرنين الثاني والرابع للميلاد

ولا علاقة بين اصحاب هذه الكتابات وقبائل غسَّان التي لم تدخل هذه البلاد الَّا بعد ذلك العهد. كما انك لا تجد في هذه الكتابات ال التعريف الذي كان شائعًا في لغة غسَّان. وهي ملاحظة تحدو بنا الى تعريف لغة الصفا وكتاباتها

وما تقرَّر لدى العلماء انَّ هذه اللغة احدى اللهجات العربيَّة لها شبه باللغات المستعملة في شمالي جزيرة العرب واكثر الاسماء الواردة في هذه الكتابات تجدها في اللغة العربية « كشقلان ومُناعم واسلم وملك وسعد ومحارب ولبيد ومَعن ». وفيها كما في العربيَّة وزن افعل التفضيل وصيغة التصغير وبعض حروف الجرّ كعلى الخ

ومن خواص هذه اللغة ان اداة تعريفها ليست « ال » كالعربيَّة بل الها (ה) كالعبرانيَّة. وكذلك ترى في لغة الصفا اصولًا ثلاثية لا اثر لها في المعاجم العربيَّة. الَّا اننا لا يمكننا ان نبرز في حقيقة لغة الصفا حكمًا الى ان يجمع منها العلماء قسمًا اوفر يشتمل على غير الأعلام فيسكنهم التحري والبحث عنها

وعلى كل حال لا يسعنا الَّا الثناء على الكاتبين السابق ذكرهما وهما قد تمكنا بعد

الجهد الجهيد وضروب الاتعاب من جمع ما جمعا وفي كتابهما عدد وافر من هذه الكتابات شرحاها شرحاً مستوفياً واضافا الى ذلك تدوين حروف الهجاء كما نقلناها عنهما (راجع ص٣٢٨) مع رسوم هذه الخطوط كما وجداها في الصخور

اما القسم الثاني من تأليفهما (ص ١٣٧—٢٢٧) فانهُ يتضمَّن كتابات أُخر يونانية ولاتينيَّة ونبطيَّة وقفا عليها في جبل الدروز او جبل حوران ورسما صورها ولها ايضاً عدَّة تصاوير شمسيَّة بديعة . وفي هذا القسم قد استدركا على العلّامة وادنغتون في اشياء كثيرة ودوَّنا كثير الكتابات التي اكتشفها هذا العالم الشهير . ومما يؤخذ من مضمون هذه المكتوبات انَّ سكّان تلك البلاد كانوا من قبائل عربيَّة كما تدل عليهِ اسماء الاعلام المذكورة في هذه الخطوط . فترى من ثمَّ ما يفيد درس الآثار الحجريَّة القديمة وكيف يؤدي بنا الى الاطلاع على تاريخ الاقدمين

ونختم هذه الاسطر شاكرين للمؤلفين مساعيهما ومثنين على الخدم الجليلة التي ادّياها للعلم بنشر تأليفهما وهما قد تحاميا فيهِ الاوصاف الباطلة والاخبار المبهمة ليجعلاهُ اثراً علمياً بحتاً يُرجع اليهِ في تاريخ سوريَّة الشرقيَّة

مطبوعات شرقية جديدة

البنديكستاريون

او طقوس الكنيسة اليونانية من احد الفصح الى احد جميع القديسين

ترجمة جديدة عن الاصل اليوناني لخليل افندي البدوي (مطبعة الاحوال ١٩٠٠ . ص ٤١١)

يسرُّنا ان نرى الكنائس الكاثوليكية تهتمّ بنشر كتبها الطقسيَّة فتسد بذلك خللاً عظيماً يؤسف لهُ . والبنديكستاريون الذي نحن بصدده كان طُبع سابقاً في مطبعة القبر المقدس الّا انَّ ترجمتهُ لم تكُ مضبوطة فيها من ركاكة العبارة ما لا يخفى على ذي ذوق . فذلك ما حدا بالاديب الهمام جناب خليل افندي البدوي ان يعيد طبعة هذا الكتاب بعد مقابلتهِ على الاصل اليوناني ومعارضتهِ على الترجمات العربيَّة الخطيَّة والمطبوعة التي امكنهُ الحصول عليها . وقد جرَّدهُ عن بعض الاضافات والشروح التي كانت زيدت على الاصل بلا داعٍ صوابي منها ما جاء عن اولاد القديس يوسف ونَسَبهِ

في المشرق (٢ : ٤٣١) . فنحث اذن اخوتنا الروم الكاثوليك ألا يعتمدوا في صلواتهم على غير هذه الطبعة الجديدة كما أننا نلتمس من غبطة السيد البطريرك والسادة الاساقفة ان يفرضوا بها في كل كنائس رعاياهم . ولنا الامل الوثيق ان متولي نشر هذا الكتاب يشفعهُ بغيرهِ من الكتب الطقسيَّة ولا يضنَّ بشيءٍ من الوسائل ليجعلها مستوفية الشروط من حيث الترجمة واتقان الطبع

Guide de l'arabisant en Algérie et en Tunisie

الدليل لمتعلّم اللغة العربية في المغرب والمملكة التونسية

طُبع في الجزائر في مطبعة جوردان سنة ١٩٠١ ص ٣٢ (القسم الاول)

تشكّلت في مدينة الجزائر لجنة من ادبائها لدرس اللغات العاميَّة الدارجة في المغرب والجزائر تحت نظارة العلامة الشهير ل . ماشويل (L. Machuel) فاهدتنا القسم الاول من الفصول والمقاطيع التي نوت نشرها في اوقات معلومة فتصفَّحناها واستحسنا طريقتها الموافقة لغرض المقصود اتمَّ الموافقة لانها تحتوي صكوكًا وعرائض ورسالات واغاني كما يكتبها الآن اهل تلك البلاد . وقد أُضيف اليها ترجمة افرنسيَّة غاية الدقة مع عدَّة ملاحظات لغويَّة . فنشكر مساعي هذه الجمعية ونتمنى لنشرتها رواجًا عظيمًا

ENCHEIRIDION CONFUCIANUM

da D[r] G. Gabrieli, Roma. 1901 pp. 218

خلاصة تعليم كونفوشيوس

قد كثر في أيامنا درس كتب الشرق الاقصى . فانَّ العلماء لم يدعوا حالًا من احوال الهنود والصينيين الّا وبحثوا فيها رجاء ان يجدوا شيئًا جديدًا يتحفوا به الاوربيين . والدكتور غبرائيلي مولع بدرس آداب الصينيين وديانتهم ذكرنا لهُ سابقًا تآليفنا من هذا القبيل . واليوم قد اهدانا كتابًا آخر جمع فيه حكم كونفوشيوس واقوالهُ الشهيرة في الدين والفلسفة والآداب والسياسة والتهذيب جمعها من تآليفهِ التي يتداولها الصينيون وترجمها الى اللغة الايطاليَّة . وقد صدَّر كتابهُ بترجمة هذا الفيلسوف وما ابقى من الآثار بين مواطنيهِ الذين يعبدونهُ عبادتهم لآلهتهم الباطلة . ومن تصفَّح هذا الكتاب يرَ بين اقاويل هذا الفيلسوف وآيات الانجيل بونًا هو ابعد من السماء عن الارض ل . ش

هدايا أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

١ منشور غبطة السيد اغناطيوس افرام الثاني بطريرك السريان الانطاكي . طُبع في الشرفة سنة ١٩٠١

٢ يومية الاحوال لسنة ١٩٠١ (راجع المشرق ٣: ١٨٨)
٣ الروايات الشهرية. يتولى طبعها يعقوب افندي جمّال في القاهرة
٤ طُرف عن الكنائس الشرقية للدكتور غبرئيلي بالإيطالية (١٩٠١ . ص ١٢)

شذرات

رد السهم — لم تسمح لنا حتى الآن الفرصة لردّ سهم صوّبهُ الى مدرستنا الكلية صاحب الهلال في عدده الصادر في ١٥ كانون الثاني (ص ٢٤٠) فشكا منها أنها تدرّس العلوم العليا كالطبيعيات والرياضيات والطبّ بالفرنسية لا بالعربية. وهي شكاية باطلة لانّ هذه الدروس العليا لا يتعلّمها الّا طلبة استعدّوا لها بالدروس الثانوية واخصّ الدروس الثانوية درس اللغة الفرنسوية التي توفرت فيها الوسائل لاتقان هذه العلوم فضلًا عن الترقي المتداوم فيها كالتآليف العديدة والمجلات العلمية ومشاهير الاساتذة مما تفتقر اليه لغتنا العربية. ونشير على المعترض ان يراجع فصلًا مطوّلًا كتبتهُ مجلة يجلّها الهلال ويطنب في وصفها وهو المقتطف ورد ذلك في سنتهِ التاسعة عشرة (ص ٢١٥). وفي كلامهِ جواب مقنع لا يبقي شكًّا لمرتاب. ولنا في كلية الاميركان في بيروت والمدارس الاميرية في مصر مثالٌ باهر على صواب فعلنا فان هذه المدارس بعد ان علّمت هذه العلوم العالية في العربية عدلت الى اللغات الاوربية لتزيد صلاحيتها لهذه الدروس. على ان ذلك لا يمنع التبحر في لغتنا العربية واقتباس فوائدها وتقديرها حق قدرها فضلًا عن اننا لا نرى الذين تخرّجوا في مدارسنا اقلّ من غيرهم تأليفًا في العربية وكفى بهذا دليلًا على بطلان حجّة الهلال ل. ش

القِطَحْل — وردنا من مدينة السلام كتاب للشيخ بعيث الخضري ينتقد فيه على جواب للشيخ ابراهيم افندي اليازجي ذكرناهُ بالحرف لفوائدهِ:

سأل احد المستفيدين مجلة الضياء سؤالًا هذا نصّهُ (٣: ٣٠٨): «يستعمل كتّابنا كلمة «قطاحل» بمعنى كبار العلماء. فهل لهذا الاستعمال اصلٌ في اللغة». فأجاب الضياء «... واما استعمال «القطاحل» بالمعنى الذي ذكرتهُ فهو من مواضعات العامّة (كذا) ولا شيء منهُ في كتب اللغة» (!). قلت: ليس ذلك من مواضعات العامّة بل هو من مواضعات الفصحاء والعلماء. قد استعملوهُ بهذا المعنى من باب المجاز. لان من معاني القِطَحْل

« الضخم من الإبل » فنقلوهُ الى معنى العظيم او الكبير من العلماء. كما نقـل العرب القدماء مثل ذلك في كثير من الالفاظ. من ذلك « الكَبْش » قال في التاج: « ومن المجاز الكبش: سيّد القوم وقائدهم ورئيسهم. وقيل كبش القوم حاميتهم والمنظور اليه منهم. ويُقال: هو كبش الكتيبة اي قائدها. وهم كِباش الكتائب » اه

ومن هذا القبيـل ايضاً « الوَعل ». فان معناهُ موضوع في الاصل للحيوان المشهور ثم نُقل الى معنى الرجل الشريف (عن جمهور اللغويين). ومن هذا الباب « السِنَّوْر »: فانّ الاصل فيه القطّ او الهرّ ثم نقلوهُ الى معنى سيد القوم ورئيسهم (عنهم ايضاً). ومن نوع هذا المجاز ايضاً « الفَحل » فان المعنى الاصلي فيه موضوع لفحل الإبل ثمَّ نُقل الى معنى الراوي ويُجمع على فُحول ومعناهُ الرُواة. وكذلك يقولون « فُحول الشعراء » للغالبين بالهجاء مَن هاجاهم (ملخَّص عن التاج والقاموس) ومن هذا الاستعمال المجازي « القِنْعاس » فان معناهُ في الاصل معنى النِطحل بتمامهِ. قال في التاج: « القنعاس... هو من « الإبل » العظيم « الضخم »... والقِنعاس الرجل الشديد المنيع قال جرير:

وابنُ اللَبونِ اذا مـا لُزَّ في قَرَنٍ   لم يستطع صولة البُزْل القناعيس » اه

ومن ذلك ايضاً « القرم » فانهُ في الاصل الفحل ثم نُقـل الى السيد المعظَّم من الرجال (جمهور اللغويين). قلتُ: ولو رجع الشيخ الى كتاب العرف الطيّب وتأمَّل ما تولى طبعهُ لرأى في ص ٣٠٠ هذا البيت:

وكنَّا نُداعب منـك قَرماً   تراجعت القُروم لهُ حِقاقا

وقد جاء شرحهُ هناك ما ننقلهُ بحرفهِ هنا: « القَرم الفحل من الجمال... والحِقّ... الذي دخل في الرابعة من سنيهِ... اي ولكنَّا كنَّا ذلك مداعبةً لك. وانما نحن نداعب منك ملكاً تتصاغر في جنبهِ كبراء الملوك كالحِقاق في جنب الفحول » اه. هذا ولو اردنا ان نستقري هذا النوع من المجاز. لفات الحصر وتعدَّاهُ وجاز. لكن اكتفينا بهذه الاسطر الوجاز. إشارة الى خطإ الشيخ وما في صدرهِ على « فطاحل » الكتبة من الحزاز

قمرا المرّيخ — قلنا في مقالتنا عن المرّيخ أنهُ ليس لهذا السيَّار قمر يلطّف نورهُ في ليلهِ ثمَّ قرأنا بعد ذلك فصلاً مطوَّلًا للاب فراري اليسوعي الفلكي الشهير اثبتهُ في مجلة التمدن الكاثوليكي (سنة ١٨٧٩ ج ٣ ص ٣٧٩) اوضح فيه اكتشاف قمرَين لهذه المتحيّرة. رصدهما العلاَّمة اصاف هال (H. Hall) لاول مرة في آب

من سنة ١٨٨٧ في مرصد واشنطون فدعا الاول دَيموس (Δεῖμος) اي خوفًا والآخر فوبوس (Φόβος) اي رعبًا يدور الأبعدُ منها بنحو ٣٠ ساعة و ١٨ دقيقة · والثاني بسبع ساعات و ٣٩ دقيقة غير ان هذين القمرَين صغيران جدًّا لا يُطَّلع عليهما الا بالآلات الرصديَّة القويَّة يبلغ قطر الواحد منهما ١٢ كيلومترًا والآخر عشرة كيلومترات فقط · هذا واذا اعتبرت ان مسافة الابعد عن سطح المرّيخ تبلغ ٢٠١١٦ كيلومترًا والثاني ٦٠٥١ فهمت انَّ النور المنعكس عنهما للمرّيخ هو زهيد جدًّا بحيث لا تكاد تتلطَّف ظلمة ليلة المريخ كما قلنا ل · ش

لغزٌ لحضرة الاب الياس جبارة اليسوعي يُطلب حلُّهُ نظمًا

ما اسمٌ ثلاثيّ الحروف جمالهُ … يسبي عيون الوامق الولهانِ
ربٌّ لهُ تعنو قلوب عبيدهِ … فيديرها ببنانه الفتّانِ
فلذا ترام نصب عرشهِ ركّعًا … يترنّمون بذكرهِ الرنّانِ
ولوصلهِ ما الجود يردع طالبًا … والكفر يمحي عروة الايمانِ
وقفوا لخدمتهِ عزيزَ حياتهم … كثر النفوس الغاليّ الاثمانِ
فانالهم تأخير رأس حروفهِ … كأسًا يذيقهم شجى الاحزانِ
يا عابديه ألا ارعووا عن غيّكم … وأنفوا شمار الذلّ والطغيانِ
فلئن صدرتم عن حماهُ غداكم … اهلٌ بنيل المجد والاحسانِ
اهلٌ الى لغزي بهِ مستبشرًا … مذ حلَّ اولُهُ محلَّ الثاني
نثبًا فضنكًا ثمَّ خيرًا يرتجى … لغزي حوى والسر فيهِ دانِ
فاليك يا ذا اللب سرّي بح بهِ … فهدتك رياهُ جزا الشكرانِ

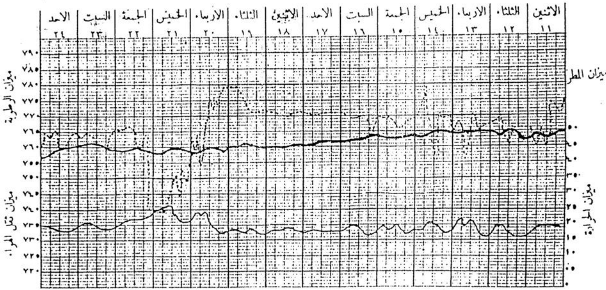
أسئلة وأجوبة

س سأل من موصل حضرة القس قرياقوس عبّوق معنى آية سفر التكوين في النسخة السريانية (٤٩ : ٢٢) [illegible]

شرح آية من سفر التكوين

ج هذه الآية داخلة في نبوّة يعقوب الشهيرة قالها عن يوسف ابنهِ وروايتها في النسخة السريانيَّة المعروفة بالبسيطة تختلف عن بقيَّة النسخ التي مرجع معناها الى « ان يوسف كغصن نما عند عين ماء فزكت فروعهُ حتى أنَّها امتدت فوق سور استندت اليهِ ». امَّا معنى الآية في السريانيَّة فهذا حرفهُ : « إصعدي ايتها العين فوق بناء متين الذي يعلو سورًا » والفرق بين الروايتين عظيم كما ترى · ولا يبعد انَّ النسخة البسيطة محرَّفة ل · ش

قائمة للآثار الجوية من ١١ الى ٢٤ اذار ١٩٠١



انّ الخطّ الضخم (ــــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات